الأبحاث والدراسات
72

# صور من التاريخ الحضاري لنجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : منطقة نجران : دراسات، وإضافات، وتعليقات ( من قبل الإسلام ــ ق ١٥هـ / ق ٧ ــ ق ٢١ م )، لغيثان بن جريس، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١ هـ / ٢٠١٩م)، (الجزء الأول)، ص ص ٧٥ – ١٦٢.

٢

# الدراســـة الثانيـــة

## صفحات من التاريخ الحضاري لنجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده.

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس

## الدراسة الثانية: صفحات من التاريخ الحضاري لنجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده


| م | العنـــوان | الصفحة |
|---|---|---|
| أولاً: | تمهيد | ٧٧ |
| ثانياً: | إدارة بلاد نجران وتهامة والسراة في عهد الرسول ﷺ، والخلافة الراشدة، والأموية، وأوائل العباسية . | ٧٧ |
| | ١- الإدارة في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة . | ٧٧ |
| | ٢- الإدارة في العهد الأموي . | ٨٠ |
| | ٣- الإدارة في العهد العباسي الأول . | ٨٢ |
| | ٤- إدارة نصارى نجران في القرنين الأولين من عصر الإسلام . | ٨٤ |
| ثالثاً: | صفحات من مظاهر الحياة الاقتصادية . | ٨٨ |
| | ١- الزراعة | ٨٨ |
| | ٢- الحرف والصناعات | ٩٤ |
| | ٣- التجارة | ٩٨ |
| رابعاً: | بعض المظاهر الاجتماعية : | ١٠٤ |
| | ١- المرأة | ١٠٤ |
| | ٢- الزواج، الأسرة وتربية الأطفال، الزينة | ١٠٥ |
| | أ. الزواج | ١٠٥ |
| | ب. الأسرة وتربية الأطفال | ١٠٩ |
| | ج. الزينة | ١١١ |
| | ٣- بعض العادات والتقاليد | ١١١ |
| خامساً: | صور من مظاهر الحياة الثقافية والفنية | ١٣١ |
| | ١- العلوم الدينية | ١٣١ |
| | ٢- العلوم الأدبية والعلمية | ١٣٧ |
| | أ - الشعر والشعراء | ١٣٧ |
| | ب - الخطابة والخطباء | ١٤٤ |
| | ج - الطب والأطباء | ١٥٢ |
| | ٣- العمارة والفنون | ١٥٤ |
| سادساً: | آراء ووجهات نظر | ١٥٨ |
| سابعاً: | قائمة المصادر والمراجع | ١٥٩ |

## أولا : تمهيد :

حافظت بلاد نجران وتهامة والسراة على استقلالها، طوال عهد ما قبل الإسلام ما عدا فترات قليلة من الحكم الحبشي، بسبب نجاح الأحباش في السيطرة على نجران وما حولها في عهد ملكهم عذبة[١]، بينما في العهد الفارسي كانت بلاد السراة تتمتع بالاستقلال من نجران في الجنوب، حتى ديار غامد وزهران في الشمال، [٢] وتشير المصادر التاريخية[٣] إلى أن نجران كانت مستقلة بشؤونها ويديرها ساداتها وأشرافها، ولها نظام سياسي وإداري خاص [٤]، وليس للفرس أي نفوذ عليها [٥].

وبقيت نجران وتهامة والسراة في منأى عن حكم ملوك اليمن، إلا في آخر دور من أدوار مملكة سبأ في الفترة الممتدة من سنة ( ٣٠٠م حتى عام ٥٢٥م) [٦]، عندما حمل ملوك سبأ لقب ( ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت أعرابها في المرتفعات والتهائم) [٧]، وأشارجواد علي أنه في تلك الفترة حرص ملوك اليمن على استقطاب قبائل السروات بعد أن أصبح لها دوراً كبيراً في ميزان السياسة والحكم [٨].

## ثانياً : إدارة بلاد نجران وتهامة والسراة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة، والأموية، وأوائل العباسية :

### ١. الإدارة في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة :

كان النظام الإداري في نجران وتهامة والسراة نظاماً بدائياً بسيطاً فلم يقم على توزيع الأعمال على الإدارات المختلفة، واختصاص كل إدارة بعمل معين، فقد كانوا

---

(١) ذكر جواد علي أنه قامت ثورة في الحبشة على حكم الملك عذبة وأحلت " ذو سكالس " محله، فانتهز أبناء السروات فرصة انشغال الحكومة بهذه الثورة ونظموا صفوفهم، وهجموا على الأحباش وأخرجوهم من نجران وما جاورها. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط. بغداد، ج٣، ص ٤٥٥ .

(٢) انظر : مؤلف مجهول فتوح اليمن، ص ٥، ٦ . وهذا الكتاب يوجد به خلط كبير وبخاصة في معلوماته. حبذا أن يدرس دراسة علمية أكاديمية ويتم التأكد من مادته .

(٣) الهمداني الإكليل، ط القاهرة، ج١، ص١٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٥٦ ابن خلدون : التاريخ، ج٢، ص٥٧، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ١٥٨ .

(٤) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٥٨ .

(٥) عون الشريف قاسم ، نشأة الدولة الإسلامية، الناشر دار الكتاب المصري القاهرة، الطبعة الثانية، ص١٢٧، جواد علي، ج٣، ص ٥٣٢، فاطمة مصطفى عامر: نجران في العصر الجاهلي وعصر النبوة، ص ٢٦ .

(٦) بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ط . الإسكندرية، ص ٢٧٢ .

(٧) بيومي مهران، ص ٢٧٢ .

(٨) ذكر جواد علي أن الذي حمل ملوك سبأ على إلحاق قبائل نجران وتهامة والسراة هو ظهور أهمية الأعراب، ولاسيما أعراب الهضاب وقبائل نجران وتهامة، إذ صاروا يؤثرون في سياسة البلاد العربية الجنوبية. أي اليمن. تأثيراً واضحاً، وصار في استطاعتهم إجراء تغيير كبير في الوضع السياسي، فانتبهوا لقوتهم هذه وأعاروها أهمية كبيرة، فأضافوا اسمهم إلى اللقب دلالة على سيطرتهم عليهم، وذلك أن حكم ملوك سبأ قد شمل التهائم بأعرابها وقراها، وكذلك قبائل معد التي تمتد منازلها من أرض نجران إلى مكة. جواد علي، ج٢، ص ٥٧٠ .

يحاربون ويؤدون ما يفرضه عليهم النبي ﷺ ابتغاء مرضاة الله، وكان الرسول ﷺ يولي رجالاً منهم عليهم. وبعد هجرته إلى المدينة ينيب عمالاً على القبائل وعلى بلاد السروات ليقوموا بإمامة المسلمين في الصلاة وجمع الزكاة ولم يكن لهم صفة سياسية[١]. ويشير الطبري إلى أن رسول الله ﷺ ولى باذان[٢] بعد إسلامه على جميع مخاليف اليمن بما فيها بعض نواحي نجران وتهامة والسراة[٣]، وحينما توفي باذان وزع الرسول ﷺ عمله على عدد من الولاة في اليمن ونجران وتهامة والسراة[٤].

وطبيعة بلاد السراة الجبلية[٥] تجعل من الصعب تعيين حاكم واحد[٦]، لذلك استعمل الرسول ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي على من أسلم من قومه في أرض جرش[٧]، واستعمل أحد الملوك القسر، وهو جرير بن عبد الله البجلي على قبيلة بجيلة[٨]، واستعمل فروه بن مسيك المرادي على مراد وزبيد ومذحج[٩]، وبعث خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات[١٠]، ما بين نجران وزبيد، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة، ولم يزل على الصدقة حتى توفي رسول الله ﷺ[١١].

ويذكر الطبري بأن رسول الله ﷺ عهد إلى عمرو بن حزم بولاية نجران[١٢]، وفي رواية أخرى أن الرسول عهد إلى قيس بن الحصين، من بني الحارث بن كعب، بولاية نجران[١٣]، ونؤيد الرواية الأولى ونستدل على ذلك ببعض المؤرخين الثقات[١٤] الذين يذكرون أن

---

(١) أحمد رمضان أحمد، حضارة الدولة العربية، ص ١٣٧.

(٢) باذان: هو آخر ملوك الفرس في اليمن، وقد أسلم طوعاً، وابنه شهر بن باذان، وفيروز المعروف بابن الديلمي الذي قتل الأسود العنسي ولهم صحبة، انظر: ابن حزم، ص٥١٢.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ٢٢٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٠٧، ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٥٩، محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الإسلامي، ص ٥١.

(٤) الطبري، ج٣، ص٢٢٨، ابن كثير، ج٦، ص ٣٠٧، عصام الفقي، ص٣٧، فاطمة مصطفى عامر، ص٣٥.

(٥) جودة حسين جودة، شبه الجزيرة العربية، ط دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٨م، ص٣٩، فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص٩٠.

(٦) عصام الفقي، ص ٣٧.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ط دار صادر بيروت، ج١، ص ١٣٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٠١، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٥. وللمزيد عن مخلاف جرش انظر: غيثان بن جريس "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى. مجلة العصور، مج (٩)، ج١، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ٦٣ ـ ٧٨.

(٨) عمر رضا كحالة، معجم قبائل العربية القديمة والحديثة، ج١، ص ٣٦، محمد أمين صالح، تاريخ اليمن، ص٤٦.

(٩) ابن سعد، ج١، ص٣٢٧، الطبري، ج٣، ص ١٣٦. ابن خلدون، ج١، ص٥٥، الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٦.

(١٠) الطبري، ج٣، ص ١٣٦، ابن كثير، ج٥، ص ٧١.

(١١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٠، يحيى بن قاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص٧٤، محمد أمين صالح، تاريخ اليمن، ص ٥١.

(١٢) الطبري، ج٣، ص ١٢٨، البلاذري، ص٨٠.

(١٣) ابن سعد، ج١، ص ٣٤٠، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٤.

(١٤) ابن هشام، ج٢، ٢٩٤، أبو يوسف، الخراج، ص ١٩٠.

الرسول ﷺ أرسل عمرو بن حزم لأهل نجران يعلمهم شرائع الإسلام وفرائضه حتى يكونوا على يقين بكل أمور الدين[١]، وكتب له كتاباً [٢]، بل أشار ابن خلدون إلى أن الرسول بعث عمرو بن حزم على الصلاة فقط، بينما أرسل أبا سفيان بن حرب على الصدقات[٣]، وفي عهده ﷺ أرسل إلى الطاهر بن أبي هالة بحكم عك والأشعريين في نجران وتهامة[٤]، وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ثم يعود إليه[٥] .

وقد تغير الوضع الإداري في أرض نجران وتهامة والسراة في عهد الرسول ﷺ وذلك حينما اشتعلت فتنة الأسود العنسي في اليمن[٦]، وقد أصاب الرعب قلوب عمال الرسول ﷺ فذهب بعض عمال نجران وتهامة والسراة إلى الطاهر بن أبي هالة ببلاد عك في نجران وتهامة [٧]، وذلك على إثر الانتصارات المتوالية التي حققها الأسود العنسي على عمال الرسول ﷺ في السروات[٨]، بعد أن ناصرته مذحج ونجران[٩]، وتيسر له ضم نجران[١٠]، وأخرج منها عمرو بن حزم وخالد بن سعد بن العاص[١١] .

ويشير ابن الأثير إلى أن قيس بن عبد يغوث قائد جيش العنسي وثب على فروة بن مسيك وهو على مراد وزبيد ومذحج فأجلاه ونزل منزلهم[١٢]، وسار الأسود من نجران إلى صنعاء واشتبك مع واليها شهر بن باذان وهزمه وقتله[١٣]، وسيطر على بلاد اليمن ونجران وتهامة والسراة من نجران وسواحل عثر[١٤] حتى الطائف، وفر عمال الرسول[١٥]،

---

(١) البلاذري، ص٨٠، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٤ .
(٢) ابن خلدون، ج٢، ص ٥٤ .
(٣) ابن خلدون، ج٢، ص ٦٦، محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية، ط الناشر لجنة التأليف والترجمة سنة (١٩٦٨م)، ج٢، ص ٩٤ .
(٤) الأشعريون: هي قبيلة تنسب إلى الأشعر بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، واسم الأشعر النبت، وإنما سمي الأشعر لأنه ولد على ذراعيه شعر فسمي الأشعر. انظر: إبراهيم المقحفي، معجم القبائل اليمنية، ط، دار الكلمة صنعاء اليمن، ص٢٤ .
(٥) ابن خلدون، ج٢، ص ٥٩، عصام الفقي، ص ٣٤ .
(٦) الأسود العنسي : هو الأسود بن كعب بن عوف العنسي، واسم عنسي هو زيد بن مالك بن أدد بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ، فتوح البلدان، ص ١١٣ .
(٧) الطبري، ج٣، ص ٢٢٧ .
(٨) البلاذري، ج٢، ص ٦٠ .
(٩) الطبري، ج٣، ص ١٨٥، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .
(١٠) ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، عصام الفقي، ج٢، ص ٣٧.
(١١) الطبري، ج٣، ص ١٨٥، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .
(١٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٨ .
(١٣) البلاذري، ص١١٤، الطبري، ج٣، ص ٢٢٩ .
(١٤) الطبري، ج٣، ص ٢٣٠، عصام الفقي، ص ٣٨ .
(١٥) البلاذري، ص ١١٣، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

وعين الأسود العنسي بدلاً منهم عمالاً أكثرهم من السروات، مثل عمرو بن معديكرب على مذحج[١]، وولّى قيادة الجيش قيس بن عبد يغوث وكان نائبه أيضاً، [٢] وكان أكثر قادة جيشه من قبائل السراة مثل يزيد بن حصين الحارثي، ويزيد بن الأفكل الأزدي[٣] .

وبعد وفاة الرسول ﷺ تولى أبو بكر الصديق الخلافة سنة (١١هـ/٦٣٢م) [٤]، وسار في إدارة بلاد نجران وتهامة والسراة نفس سيرة الرسول ﷺ[٥]، وقسم هذه البلاد إلى عدة مخاليف هي: الطائف، وخولان[٦]، وزبيد[٧]، ورمع[٨]، ونجران[٩]،وجرش[١٠]،وأبقى أيضاً على العمال الذين استعملهم الرسول ماعدا العمال الذين رفضوا أن يعملوا لغير رسول الله ﷺ[١١] مثل عمرو بن حزم، فعهد أبو بكر الصديق إلى جرير بن عبد الله البجلي ولاية نجران[١٢]، وعند رفض صرد ولاية جرش بعد وفاة الرسول ﷺ عهد أبو بكر إلى عبد الله بن ثور أحد بني الغوث بحكم جرش[١٣].

## ٢. الإدارة في العهد الأموي :

أما إدارة أرض نجران وتهامة والسراة في العهد الأموي، فقد بلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساعها في ذلك العصر، فكانت تنقسم إلى ست ولايات كبرى[١٤].وبلاد نجران وتهامة والسراة ضمن ولاية الحجاز واليمن وأواسط بلاد العرب[١٥]، وتعد مكة هي مركز هذه الولاية، وتتبعها قرى ومدن السراة مثل: تربة، وقرن المنازل[١٦]، وبيشة، وتبالة،

---

(١) الأصفهاني، ج١٤، ص ٢٧، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

(٢) الطبري، ج٣، ص ٢٣٠ .

(٣) الطبري، ج٣، ص ٢٣٠ .

(٤) زين الدين عمر بن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ص ٢١٥ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم، ص١٨٧، محمد كرد علي، ج٢، ص ١٠٧ .

(٦) محمد كرد علي، ص١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧، وذكر القلقشندي أن خولان بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان . القلقشندي، ص٢٤٨.

(٧) محمد كرد علي، ص ١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧ .

(٨) محمد كرد علي، ص١٠٧، أحمد رمضان ، ص ١٣٧ .

(٩) محمد كرد علي، ص ١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧ .

(١٠) محمد كرد علي، ص ١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧ .

(١١) محمد كرد علي، ص ١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧ .

(١٢) الطبري، ج٣، ص ٣٧٢، يحيى بن قاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص٧٥، فاطمة مصطفى عامر، ص٣٧ .

(١٣) ابن سعد، ج١، ص٣٢٨، الطبري، ج٣، ص ٣٧٢ .

(١٤) ذكر أحمد رمضان أن الدولة الإسلامية في عهد الدولة الأموية كانت مقسمة إلى ست ولايات هي: (١) الحجاز (٢) اليمن وأوساط بلاد العرب . (٣) مصر .(٤)ولاية الشام .(٥) ولاية الجزيرة. (٦) شمال إفريقيا وبلاد الأندلس وجزيرة صقلية . انظر: أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧ .

(١٥) أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧ .

(١٦) قرن المنازل : هو ميقات أهل نجد وقال الحسن بن محمد المهلبي قرن بينها وبين مكة أحد وخمسون ميلاً، وهي ميقات أهل اليمن انظر: ياقوت، معجم البلدان ٢، ج٤، ص ٣٣٢ .

وجرش حتى نجران [١]، بالإضافة إلى بعض المخاليف التهامية [٢]، ويذكر البكري إلى أن عك تعد من مخاليف مكة التهامية.

ومن أشهر الولاة الذين تولوا بعض مخاليف السراة في العصر الأموي، الحجاج بن يوسف الثقفي[٣]، وخالد بن عبد الله القسري، ويشير البكري ، وأول عمل وليه الحجاج هي تبالة، فقيل إنه لما قرب منها قال للدليل : أين هي ؟ قال: تسترها عنك هذه الأكمة، فقال : أهون عليّ العمل ببلدة تسترها عني أكمة، وكر راجعا [٤]، والملاحظ أن تبالة لم تكن بهذا الحد من الصغر والهوان حيث ذكر الأزرقي أن وادي تبالة يحتوي على ثلاثين قرية[٥] .

ولعل أشهر من تولى مخلاف مكة الذي ينتظم في رحابه مخاليف نجران وتهامة والسراة في العصر الأموي[٦]، من أبناء السروات هو خالد بن عبد الله القسري[٧]، أحد أبناء الملوك القسر[٨]، فقد استعمله سليمان بن عبد الملك على مكة سنة (٩٦هـ /٩١٥م)[٩]، وذكر الأزرقي أن سليمان كتب إلى خالد القسري يريد الحج، وأمره أن يستخرج له عيناً من الماء العذب بدلاً من زمزم[١٠]، فعمل خالد ما أمر به[١١]. وكان منصب أصحاب الشرطة من نصيب قبائل اليمن والسروات طوال العصر الأموي من (٤٠-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠هـ)[١٢]، وقبيلة عنس [١٣]، من أهم القبائل اليمنية السروية التي احتكرت هذا المنصب . ويذكر ابن حبيب أن معاوية بن أبي سفيان استعمل على الشرطة يزيد بن الحر العنسي[١٤]، وعندما استخلف يزيد بن معاوية سنة (٦٠هـ/٦٨٠م)[١٥]، أبقى

---

(١) البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج١، ص ٦٦٠ .

(٢) انظر، البكري، ج١، ص ٧٩٥ .

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب وأخوه محمد بن يوسف، وبنو الحجاج محمد، وعبد الله، وأبان، وسليمان، وللحجاج عقب بالبصرة ودمشق ومن ولده كان عمر بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ولي بعض الولايات أيام الوليد بن يزيد . انظر: ابن حزم، ص ٢٦٧ .

(٤) انظر : البكري، معجم، ج١، ص ٣٠١ .

(٥) الأزرقي : أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٥ . وللمزيد عن تاريخ وحضارة تبالة انظر: غيثان بن جريس " تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى " بحث منشور في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي المنعقد في دولة البحرين ( ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م)، ص ١٧٩ - ٢١٥ .

(٦) البكري، ج١، ص ٣٠٨ .

(٧) القسري : هذه النسبة إلى قسر وهو ابن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمر بن الغوث أخي أسد. السمعاني : الأنساب، تعليق عبد الله عمر البارودي، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط (١٩٨٨م)، ج٤، ص ٣٩٧ .

(٨) الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص ٣٠١ .

(٩) الأزرقي، ج٢، ص ١٠٧ .

(١٠) المصدر نفسه .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٢٧٠ .

(١٣) عنس : هم بني عنس بن مالك بن أدد بن يزيد بن يشجب بن زيد بن كهلان وإليهم ينسب الأسود العنسي، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٠م، ص ٣٧٩ .

(١٤) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص ٣٧٣ .

(١٥) الطبري، ج٥، ص ٣٢٢، علي إبراهيم حسن، ص ٢٧٢ .

يزيد بن الحر العنسي على الشرطة[١]، ولما تولى عبد الملك بن مروان سنة (٦٤هـ/٦٨٣م) استعمل على الشرطة كعب بن حامد العنسي واستمر في عمله والياً للشرطة في عهد الخليفتين الوليد بن عبد الملك[٢]، وسليمان بن عبد الملك[٣]، وفي عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز عُزل من منصبه[٤]، وعندما ولي هشام بن عبد الملك الخلافة سنة (١٠٥هـ/ ٧٢٤م)[٥]، أقر كعب بن حامد العنسي على الشرطة أكثر من عشر سنوات حتى مات كعب، فجعل مكانه يزيد بن يعلى العنسي حتى مات هشام[٦]، وهكذا استمر أبناء السروات واليمن مسيطرين على وظيفة صاحب الشرطة خلال العصر الأموي.

## ٣. الإدارة في العهد العباسي الأول:

أما نجران وتهامة والسراة في العصر العباسي، فلم تختلف عن العهد الأموي، بينما تحسن وضع النجرانيين في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل وصاروا يدفعون ما هو مقرر عليهم إلى بيت المال بالعاصمة دون وساطة عمال[٧]، ويرجع ذلك التحسن إلى صلة القرابة بين بني عبد المدان والخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح الذي بويع بالخلافة سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)[٨]، وذكر ابن خلدون أن زياد بن عبد المدان هو خال السفاح[٩]، وولاه أبو العباس السفاح نجران[١٠]. ويذكر ابن حبيب إلى أن أم العباس هي ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان بن الديان[١١]، احد بني الحارث بن كعب من نجران، وقد بلغ أبناء السروات شأواً عظيماً في العهد العباسي الأول، والدليل على ذلك أن عدداً كبيراً منهم تولى المناصب العليا، مثل زياد بن عبيد الله الحارثي فقد استعمله أبو العباس السفاح على الحج سنة (١٣٣هـ/ ٧٥٠م)[١٢]، وفي العام نفسه استعمل على اليمن محمد بن زيد بن عبد المدان الحارثي، ولكن سوء سيرته أثارت عليه سخط أهل صنعاء[١٣]، وكان أخوه نائباً على

---

(١) ابن حبيب، ص ٣٧٣ .

(٢) ابن حبيب، ص ٣٧٣ .

(٣) ابن حبيب، ص ٣٧٣ .

(٤) ابن حبيب، ص ٣٧٣ .

(٥) علي إبراهيم حسن، ص ٢٧٠ .

(٦) ابن حبيب، ص ٢٧٤ .

(٧) البلاذري، ٧٩ .

(٨) ابن الأثير، ج٤، ص ٣٢٢، نبيلة حسن: تاريخ الدولة العباسية، ط دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م، ص ٩١، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط العاشرة مكتبة النهضة المصرية، ج٢، ص ٢١ .

(٩) ابن حزم، ص ٤٧٧ .

(١٠) ابن خلدون، ج٢، ص ٩٦ .

(١١) ذكر ابن حبيب أن أم ريطة بنت عبيد الله، وأمها حسناء بنت سعيد بن زيد بن الأسود بن المحجل بن حزن بن مؤالة ،وأمها هي أم يزيد بنت يزيد بنت عابس بن نباتة بن زيد بن الضباب، وأمها هي فاطمة بنت العتير بن ربيعة بن معاوية بن صلاة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب . ابن حبيب ،المحبر، ص ٣٢، ٣٣ .

(١٢) ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤١، يحيى بن قاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص ١٢٨ .

(١٣) ذكر يحيى بن قاسم أن محمداً بن زيد الحارثي أحدث في صنعاء أعمالاً قبيحة منها أنه هم بإحراق المجذومين وجمع الحطب لإحراقهم فهلك قبل ذلك، انظر: يحيى بن قاسم، ص ١٢٩ .

عـدن، وعندمـا علـم أبـو العباس بموتهمـا بعـث علـى اليمـن عبـد الله بـن مالـك الحارثـي عامـلاً فلبـث أربعـة أشـهر ثـم عزلـه [١]، وولى بـدلاً منـه علـي بـن الربيـع بـن عبـد المـدان ومكث أربع سنوات وعدة أشهر[٢]، وتوفي أبو العباس سنة ( ١٣٦هـ/ ٧٥٣م)[٣]، واستخلف المنصور.

ويعتبر عهد المنصور امتداداً لعهد أبي العباس السفاح من ناحية تولي أبناء اليمن والسروات المناصـب العليا، مثـل بني الحارث بن كعب في نجران[٤]، وقد اسـتعمل أبو جعفر المنصـور على اليمن عبد الله بن الربيع الحارثي فأقام مدة ثم سـار إلى المنصـور واسـتخلف ولده[٥]. ولم يكن تولي المناصـب قاصـراً على قبيلة بني الحـارث بن كعب النجرانية بـل كان يتمتع بها العديد من قبائل السـروات مثل بجيلة وبطونها المتنوعة، والدليل على ذلك أن أبا جعفر المنصـور اسـتعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسري على المدينة [٦]، ومن قبيلة بجيلة من تولى منصب القضاء في الدولة العباسية مثل" الحسن بن عمارة بن مضرب البجلي وهو قاضي بغداد أيام المنصور[٧].

وقد اسـتطاع أبو جعفر المنصور التخلص من أبي مسلم الخراساني عن طريق جرير بـن زيـد البجلي[٨]، الذي اسـتطاع أن يقنع أبا مسـلم بضـرورة مقابلة الخليفـة[٩]، وقد تمكن جرير البجلي، وكان أوحد زمانه في المكر والخداع والدهاء، فقال للخراساني " أيها الأمير ضربت الناس عن عرض لأهل هذا البيت، ثم تنصرف على هذه الحالة، ما آمن أن يعيبك من هنالك ومن هاهنا ،وأن يقال طلب بثأر قوم ثم نقض بيعتهم فيخالفك من تأمن مخالفتـه إيـاك، وأن الأمر عن خليفتك مـا تكره، ولا أرى أن تنصـرف على هذه الحالة" وساعده عيسى بن موسى حتى ضمن له الوفاء من المنصور [١٠].

وتـوفي الخليفة المنصـور سـنة ( ١٥٨هـ/ ٧٧٤م) [١١]، واسـتخلف ابنـه المهدي[١٢]، واسـتعمل الخليفة المهدي على اليمن وجزءاً من السـروات الجنوبية يزيد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي سـنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩) [١٣]، وذكر يحيى بن قاسـم أنه عندما أصـاب

---

(١) ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤٤، يحيى بن قاسم، ص ١٢٩ .
(٢) يحيى بن قاسم، ص ١٢٩ .
(٣) ابن حبيب، ص ٣٤، ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤٦، بدر عبد الرحمن، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٩ .
(٤) ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤٧ .
(٥) يحيى بن قاسم، ص ٣٦ .
(٦) ابن الأثير ج٤، ص ٣٤٧ .
(٧) أبو يوسف، الخراج، ص ١٦٩ .
(٨) بدر عبد الرحمن، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٨ .
(٩) المرجع نفسه، ص ٢٨ .
(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٨ .
(١١) ابن حبيب، ص ٣٦، نبيلة حسن، ص ١٤٢ .
(١٢) المهدي : هو محمد بن عبد الله بن المنصور . ابن حبيب، المحبر، ص ٣٦ .
(١٣) يحيى بن قاسم، ص ١٣٦ .

الاضطراب بلاد اليمن في عهد الخليفة الهادي بعث إليها الربيع بن عبد الله الحارثي[١]، ولكن تغلب عليه أهل صنعاء فعزله [٢]، واستعمل إبراهيم بن سليمان الباهلي[٣]، وهو أحد أبناء قبيلة باهلة في بلاد السروات[٤]، وعندما تولى هارون الرشيد الخلافة سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م)[٥]، بعث إلى أجزاء من السروات ونجران ثم اليمن الربيع بن عبد الله بن المدان الحارثي عاملاً عليها[٦]، ويجب ألا نغفل أن تولي بني الحارث بن كعب المناصب العليا في الدولة العباسية لا يعود إلى صلة القرابة بينهم وبين الخلفاء العباسيين بل يعود إلى كفاءتهم [٧]، فقد كانوا سادة اليمن وملوك نجران[٨].

## ٤ ـ إدارة نصارى نجران في القرنين الأولين من عصر الإسلام :

بلغ نصارى نجران درجة عالية من التنظيم الإداري، مما ظهر في توزيع المناصب التي انعكست بوضوح في تكوين وفدهم الذي زار الرسول ﷺ في المدينة[٩]، للقاء رسول الله، ويضم هذا الوفد ستين رجلاً[١٠]،من بينهم أربعة عشر من أشراف نصارى نجران وسادتهم[١١]،ومن بين هؤلاء ثلاثة يؤول إليهم أمرهم فهم أصحاب الشأن والأمر والنهي بأيديهم وهم : **الأول:** العاقب واسمه عبد المسيح وكان أمير القوم[١٢]، وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه. **والثاني:** ثمالة، وصاحب رحلهم ومجتمعهم[١٣] ويسمى الأيهم[١٤]، **والثالث:** أبو حارثة بن علقمة[١٥]، وكان أسقفهم ورئيسهم الديني، ويعلمهم أمور هذا الدين، كما كان صاحب مدارسهم[١٦].

وكان النظام الإداري في نجران يختلف عن النظام الإداري في بقية مخاليف نجران

---

(١) يحيى بن قاسم، ص ١٣٦ .
(٢) يحيى بن قاسم، ص١٣٦ .
(٣) يحيى بن قاسم، ص ١٣٦ .
(٤) باهلة : قبيلة من قيس عيلان سمو باسم أمهم باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج . انظر: حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١٦٣ .
(٥) نبيلة حسن، ص ١٦٦ .
(٦) نبيلة حسن، ص ١٦٦
(٧) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ١٣٢ .
(٨) فاطمة مصطفى عامر، ص ١٢ .
(٩) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، الطبري، ج٣، ص ١٢٧ . البلاذري، ص٧٥، ابن خلدون، ج٢، ص٥٧، عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، ص ١٢٧ .
(١٠) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦ .
(١١) ابن سعد، ج٣، ص ٣٥٧، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦ . جواد علي، ج٣، ص ٥٣٧ .
(١٢) ابن خلدون، ج ٢، ص ٥٧ .
(١٣) ابن هشام، ج٢، ص ٥٧٥ . أحمد أمين، فجر الإسلام، الطبعة الثانية عشرة ١٩٧٨م، ص ٢٦ .
(١٤) ابن هشام، ج٢، ص٥٧٥، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦ .
(١٥) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨ .
(١٦) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٦ .

وتهامة والسراة، وفي هذا الصدد يشير ابن هشام إلى أن عاقب [١] نجران كان من كندة[٢]، وأن أسقفها أبو حارثة بن علقمة[٣] كان من بكر بن وائل[٤]. ونخلص من ذلك إلى أن الرئاسة عند نصارى نجران لم تكن تتبع العرف القبلي في الزعامة، وإنما كانت عن اختيار، بينما كان الأمر على العكس تماما في بلدان نجران وتهامة والسراة، فقد كانت وراثية متمثلة في شيخ القبيلة وليس هناك اختيار[٥].

ويذكر البلاذري أنه لما تولى أبو بكر الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ جدد العهد لأهل نجران وكتب لهم عهده وكان متضمناً كتاب رسول الله لهم [٦]. وذلك نص كتاب أبي بكر " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم بجوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أنفسهم، وأرضهم وملتهم، وأموالهم وحاشيتهم وعباداتهم وغائبهم وشاهدهم، وأساقفهم ورهبانهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، وفاءً لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي ﷺ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي ﷺ، أبداً وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق[٧]. وكان يتولى أمر نجران في عهد أبي بكر جرير بن عبد الله البجلي[٨].

ثم تغير وضع نصارى نجران في عهد عمر بن الخطاب، فأجلاهم عن بلادهم، واشترى منهم أرضهم وعقارهم فخرجوا إلى النجرانية بالعراق[٩]، ويرجع موقف الخليفة عمر من نصارى نجران إلى عوامل متنوعة منها مشاركتهم في حرب الردة، نستدل على ذلك من نص كتاب عمر بن الخطاب إليهم "بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب إلى أهل رعاش[١٠]، كلهم أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وأن من يتب ويصلح لا يضره ارتداده ونصحبه صحبة حسنة، فاذكروا ولا تهلكوا، ويبشر

---

(١) العاقب : يذكر علماء اللغة أن العاقب من كل شيء آخره، والعاقب السيد، وقيل الذي دون السيد، وقيل الذي يخلف من كان قبله، وهي لفظة عربية جنوبية، وردت في المسند بمعنى ( رئيس ) وممثل القوم، أي رسول القوم فوردت ( عقبت نشقم ) أي رئيس المدينة، ونشق بمعنى ممثل المدينة . جواد علي، ج٦، ص ٦١٨ .

(٢) ابن خلدون، ج٢، ص ٥٦ .

(٣) أبو حارثة بن علقمة: كان رجلاً من العرب من بكر بن وائل ولكن دخل في دين النصرانية فعظمته الروم وشرفوه، وبنوا له الكنائس ومولوه لما يعرفون من صلابته في دينهم، وكان مع ذلك يعرف بأمر رسول الله ﷺ ولكن صده الشرف والجاه عن اتباع الحق، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦ .

(٤) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨ .

(٥) للمزيد عن تاريخ نجران وبخاصة النصارى والنصرانية فيها قبل وأثناء ظهور الإسلام، انظر: غيثان بن جريس. نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١ـق٤ هـ / ق٧ـق ١٠م ) ( الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠١٣م) . ج١، ص٧٤ وما بعدها .

(٦) البلاذري، ص ٧٧، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٠٠ .

(٧) أبو يوسف، الخراج، ص ١٩١، ١٩٢، الطبري، ج٣، ص ١٢٩ .غيثان بن جريس، نجران، ج١، ص٩٦ .

(٨) البلاذري، ص ٧٧، فاطمة مصطفى عامر، ص ٣٧ .

(٩) أبو يوسف، ص ١٩٥، البلاذري، ص ٧٧ . عون الشريف، ص ٣١٣، فاطمة مصطفى، ص ٣٧ .

(١٠) رعاش : هو موضع من أرض نجران، البكري، معجم، ج١، ص ٦٦٠ .

من أسلم منكم، فمن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه بعد عشر تبقى من شهر الصوم من النصارى بنجران، أما بعد: فإن يعلى، كتب يعتذر، أن يكون أكره أحد منكم على الإسلام، وقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض، وإني لن أريد نزعها منكم ما أصلحتم "[١] . واستمر وضع النجرانيين على ما أقره عمر بن الخطاب[٢]، حتى كانت خلافة عثمان ابن عفان سنة ( ٢٣هـ/٦٤٣م) [٣]، الذي عطف عليهم وقرر تخفيض ما عليهم من خراج[٤]، وكتب إلى الوليد بن عقبة عامل الكوفة قائلاً : " أما بعد، فإن العاقب، والأسقف، وسراة نجران أتوني بكتاب رسول الله ﷺ وأروني شروط عمر، وقد سألت عثمان بن ضيف عن ذلك، فأنبأني أنه كان قد بحث عن أمرهم فوجده ضاراً للدهاقين لردعهم عن أرضهم، وأني قد وضعت عنهم جزيتهم مئتي حلة لوجه الله، وعقبى لهم في أرضهم، وأني أوصيك بهم، فإنهم قوم لهم ذمة "[٥] .

ولما آلت الخلافة لعلي بن أبي طالب سنة ( ٣٥هـ/٦٥٠م) [٦]، تطلع النجرانيون إلى العودة إلى بلادهم الأولى في نجران، وسألوا الخليفة تحقيق ذلك وقالوا " شفاعتك بلسانك، وكتاب بيدك أخرجنا من أرضنا، فردها إلينا ضيعة [٧]، فأنكر الإمام طلبهم وقال لهم " ويلكم، إن عمر كان رشيد الأمر، فلا أغير شيئاً صنعه عمر "[٨] .

وقد حافظ الإمام علي بن أبي طالب على عهود من سبقه لنصارى نجران، ويتضح ذلك من كتابه لهم " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين لأهل النجرانية أنكم أتيتموني بكتاب من نبي الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر فمن أتى عليهم من المسلمين فليف لهم، ولا يضاموا، ولا يظلموا[٩] .

أما في العهد الأموي، فقد أخذ وضع النجرانيين يتغلب تبعاً لأهواء الخلفاء والولاة، فكان هناك من يرق لحالهم ويخفف عنهم وطأة الجزية[١٠]، بينما كان هناك آخرون

---

(١) البلاذري، ص ٧٧ .
(٢) البلاذري، ص ٧٧، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٩ .
(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ١٥ .
(٤) القاضي أبو يوسف، الخراج، ص ١٤٩، ياقوت، ج٥، ص ٢٧ .
(٥) أبو يوسف، المصدر نفسه، ص ١٩٤، البلاذري، ص ٧٧ .
(٦) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٢٦٠ .
(٧) أبو يوسف ، المصدر نفسه، ص ١٩٥، البلاذري، ص ٧٨ .
(٨) أبو يوسف، ص ١٩٥، البلاذري، ص ٧٨ .
(٩) أبو يوسف، ص ١٩٥، البلاذري، ص ٧٨ .
(١٠) الجزية :قال الله تعالى( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) والجزية هي: الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالا، والمعنى حتى يعطوا الخراج عن رقابهم، وأن الجزية وضعت إذا للكفار، وليس أجرة عن سكن الدار، ولو كانت أجرة لوجبت على النساء والصبيان والعميان، ولو كانت أجرة لكانت مقدرة المدة كسائر الإجارات، ابن القيم : أحكام أهل الذمة، ص ٢٢-٢٥ .

يزيدون عليهم ذلك"[١]. ففي عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، رأى النجرانيون أن يتقربوا إليه، فتقدموا بشكواهم [٢]، بعد أن نقص عددهم، واعتنق الكثير منهم الإسلام، وأخبروه بموقف الخليفة عثمان بن عفان، وسألوه أن ينقص جزيتهم كما فعل، فاستجاب لرغبتهم وأسقط عنهم مائتي حلة[٣]. وتذكر بعض المصادر التاريخية أن بعض الولاة لم يلتزموا بالقواعد الشرعية للمعاملة المالية التي حددها الرسول، مثل: محمد بن يوسف الثقفي الذي تولى اليمن من قبل عبد الملك بن مروان فقد أخذ محمد بن يوسف بعض بلدان نجران وتهامة والسراة لنفسه[٤]، وقرر عليهم خراجا، أي جعلها خراجية لا عشرية، وعندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة (٩٩هـ/٦١٧م[٥]، كتب إلى عامله على اليمن يستنكر ما قام به ويأمره[٦] الالتزام بالقواعد الشرعية في المعاملة المالية لأهل اليمن [٧].

وعلى الجانب الآخر تعرض النجرانيون لضغط بعض الولاة الأمويين مثل الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق، فقد اتهم النجرانيون بالثورة والانضمام إلى حركة عبد الرحمن بن محمد الأشعث، فزاد في جزيتهم، انتقاما منهم، فبلغت آنذاك ألفا وثمانمائة وقيل ألف وثلاثمائة حلة [٨]، بينما لمس النجرانيون في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز التسامح والعدل، فشكوا إليه فناءهم ونقصان عددهم، وقيام الأعراب بالغارات عليهم وتحميلهم بكثير من الأعباء المجحفة بهم، وما كان من ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي لهم [٩].

وكان وضع النجرانيين يتميز بالتقلب تبعاً لأهواء الخلفاء والولاة الأمويين خاصة في عهد الحجاج ابن يوسف الثقفي، والوليد بن عبد الملك، ثم تميز وضعهم بالاستقرار في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل، لهذا استقبلوا الخليفة العباسي الأول أبا العباس السفاح بالورود والرياحين ونثروها عليه وهو منصرف إلى منزله من المسجد[١٠]، فكان ذلك من دواعي إعجابه بهم [١١]، وقد توثقت العلاقة أكثر عندما

---

(١) فاطمة مصطفى عامر، ص ٤١ .

(٢) عون الشريف، ص ١٣٠ .

(٣) البلاذري، ص ٧٨، عون الشريف، ص ١٣٠ .

(٤) البلاذري، ص ٨٤، عصام الفقي، ص ٢٦٥

(٥) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٣٣٧ .

(٦) يروى أنه كان من أوامر عمر بن عبد العزيز لعامله " فدع ما أنكرت وخذ ما عرفت من الحق فإن الله يعلم أنك إن لم تحمل إليّ من اليمن إلا حفنة من كتم أحب إليّ من إقرار هذه الوظيفة " . البلاذري، ص ٨٤، عصام الفقي، ص ٢٦٦.

(٧) البلاذري، ص ٨٤، عصام الفقي، ص ٢٦٦ .

(٨) البلاذري، ص ٧٨، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٠١، عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، ص ١٣٠ .

(٩) البلاذري ص٧٨، فاطمة مصطفى عامر، ص ٤٢ ، ذكر الشريف أن عمر بن عبد العزيز حدد الجزية بمائتي حلة، وكانت قيمتها ( ١٨٠٠ ) درهم " عون الشريف قاسم، ص ١٣٠ .

(١٠) ذكر جرجي زيدان أن الجزية المقررة على نصارى نجران كانت ديناراً، ولكن عندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة، اعتبر المبلغ قليلاً وبعث إلى عامله فأحصى الرؤوس، وجعل الناس كلهم عمالاً بأيديهم وحسب ما يكسب العامل في السنة كلها ثم طرح من ذلك نفقته في طعامه وأدمه وكسوته وطرح أيام الأعياد في السنة كلها، فوجد بعد ذلك في السنة لكل واحد أربعة دنانير فألزمهم ذلك جميعاً " . جرجي زيدان : مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، ط بيروت، سنة ( ١٩٨٢م )، ج١١، ص٣٥٧.

(١١) البلاذري، ص ٧٩ .

ذكروا له أن بينهم نسباً في أخواله بني الحارث بن كعب، وصدقهم الحجاج بن أرطأة فيما ادعوا [١]، وذكر ابن حبيب أن أم العباس هي ريطة بنت عبيدالله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان أحد بني الحارث بن كعب من نجران [٢]. وعندما شكا النجرانيون إلى أبي العباس السفاح ما أصابهم في العهد الأموي، فردهم أبو العباس إلى مائتي حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم[٣].

وقد بلغ وضع النجرانيين أقصاه في عهد هارون الرشيد، وفي هذا الصدد ذكر البلاذري [٤]، أنه عندما اسُتخلف هارون الرشيد اتجه إلى الكوفة، موضع النجرانيين، يريد الحج، فشكوا إليه تعنت العمال ضدهم فكتب لهم كتاباً بالمئتي حلة، وأمر أن يعفو من معاملة العمال" وصاروا يدفعون ما هو مقرر عليهم إلى بيت المال بالعاصمة دون وساطة [٥]، كما تطور وضع نصارى نجران تطوراً إيجابياً لصالحهم، ونستدل على ذلك مما ذكره عصام الفقي، من أن نصارى نجران الذين هاجروا من بلاد اليمن، سرعان ما عادوا إليها وهم من بني الحارث بن كعب، في أوساط العصر العباسي[٦]، وامتلكوا الضياع واشتغلوا بالتجارة وكونوا الثروات الكبيرة[٧].

## ثالثاً: صفحات من مظاهر الحياة الاقتصادية:

### ١ ـ الزراعة:

عرفت أوطان نجران وتهامة والسراة الزراعة منذ فجر تاريخها، بدليل حادث الفيل[٨]، إذ لا يمكن أن تسير الفيلة من صنعاء إلى مكة [٩] مارة بالسروات دون أن يكون فيها زراعة تكفي لغذائها الكثير، والثابت أن نجران وتهامة والسراة امتداد لبلاد اليمن، وهي صاحبة حضارة عريقة لم ينقطع أهلها عن الاهتمام بالزراعة[١٠]. وتدخل أرض نجران وتهامة والسراة ضمن ما يسمى ببلاد العرب السعيدة، بسبب أمطارها الوفيرة، والثروة النباتية على جبالها وأوديتها[١١].

---

(١) البلاذري، ص ٧٩.
(٢) ابن حبيب، ص ٣٢.
(٣) البلاذري، ص ٧٩.
(٤) البلاذري، ص ٧٩.
(٥) البلاذري، ص ٧٩.
(٦) عصام الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٨٩.
(٧) عصام الفقي، المرجع نفسه، ص ٢٨٩.
(٨) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط دار الكتب العلمية بيروت، ج١، ص ٢٥١، أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية، ص ٣٩.
(٩) محمود شكري الألوسي، ج١، ص ٢٥٢، عبد الغني حمادة، مكة المكرمة، ص٥١ ـ ٥٢، عابدين، بين الحبشة والعرب، ص ٦٤.
(١٠) عصام الفقي، مظاهر الحضارة الإسلامية في بلاد اليمن، ص ٢٤٤.
(١١) جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية، ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة (١٩٨٨م)، ص٣٩.

ومقومات الزراعة في نجران وتهامة والسراة متنوعة، ويرجع ذلك إلى العوامل الجغرافية المؤثرة في الظروف الطبيعية التي تؤثر في حياة الإنسان ونشاطه، ولاسيما النشاط الزراعي[١]، وذلك لأن هذه البلاد تقع ضمن المناخ المداري الجاف لغرب القارات[٢]، كما أنها تقع في منطقة الضغط المرتفع المداري شتاءً[٣]، ولوقوع البحر الأحمر في غربها [٤]. كل ذلك أدى إلى أن نجران وتهامة والسراة تتميز بارتفاع درجات الحرارة عامة [٥]. مع الاحتفاظ بالحرارة الدافئة في مناطق متنوعة مثل بيشة[٦].

وأشار جودة حسنين أن وقوع البحر الأحمر في غرب السروات يجعلها أكثر تأثراً بنسبة الرطوبة المرتفعة[٧]، التي تساعد كثيراً على نمو النباتات [٨]، كما تعتبر التربة من العوامل الحاسمة في الإنتاج الزراعي، لأن النبات يمد جذوره بها، ويستمد غذاءه منها، فإذا فقدت بالانجراف، أو إذا كانت خالية من الأملاح اللازمة لغذاء النبات، أو تحوي أملاحاً ضارة بالإنبات استحال وجود النبات فيها[٩].

والتربة هي الجزء المفتت من سطح القشرة الأرضية، والذي خضع لتغيرات كيميائية كبيرة، ويحتوي على المواد العضوية الناتجة عن تحلل المخلفات النباتية والحيوانية، كما يحتوي على العناصر المعدنية اللازمة لتغذية النبات[١٠]. وتنوع التربة من مكان لآخر في نجران وتهامة والسراة فهي في النطاق الساحلي فقيرة، وتتكون غالبا من مفتتات الأصداف

(١) عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج١، ص ٥٩ .

(٢) لأنها تقع بين درجتي ( ٢٠ـ٢٢ ) شمالاً . جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية، ص ٣٩ " وتقع أيضاً بين درجتي ( ٤٠ – ٥٤ ) شرقا، سليمان السيد محمد سليمان، العمران الجبلي في سراة عسير، طبع في نشرة البحوث الجغرافية " نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بكلية البنات، جامعة عين شمس العدد : الحادي عشر. يناير (١٩٩١م)، ص١٢٧.

(٣) يتميز هذا النوع من المناخ بالتطرف الشديد في درجات الحرارة، ففي النهار تلهب الشمس الأرض بأشعتها، فتشتد الحرارة، ويعظم القيظ، وفي الليل يحدث الإشعاع للحرارة، لهذا يكون الليل بارداً، ويعظم المدى الحراري اليومي والفصلي أيضاً . جودة حسنين جودة : جغرافيا آسيا الإقليمية، الناشر توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية، (١٩٨٥م)، ص ٥٨ .

(٤) عبد الرحمن صادق الشريف، ج١، ص ٦١، جودة حسنين، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص٥٥ .

(٥) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص٨٣ .

(٦) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٦١ .

(٧) تكون الرطوبة بصفة عامة مرتفعة في المناطق الساحلية ومنخفضة جداً في المناطق الداخلية لأن البحر الأحمر مصدر الرطوبة، عبد الرحمن صادق الشريف، ج١، ص ٧٥، ٧٦ . ذكر جودة حسنين جودة أن الرطوبة الجوية تساعد على نمو النباتات لأنها تتسبب في تكوين كثير من قطرات الندى على الأسطح الباردة أثناء الليل .جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٣٤ .

(٨) جودة حسنين جودة، ص ٣٤ .

(٩) عبد الرحمن صادق الشريف، ج١، ص ١٦٣ .

(١٠) عبد الرحمن صادق الشريف، المرجع نفسه، ج١، ص ١٦٤ .

والشعاب المرجانية، وأرض رملية خصبة تتخللها السبخات[١]، وتزداد التربة خصوبة بالاتجاه شرقا نحو سفوح السروات[٢]، وفي جوانب الأودية وسهولها ورياضها وعلى المدرجات الجبلية[٣].

ومن أهم أودية السروات التي تتميز بالغنى والخصوبة وادي تبالة [٤]، وهو واد ذو تربة خصبة ويحتوي على ثلاثين قرية[٥] كما أن وادي نجران يشمل أكثر من سبعين قرية [٦]، نظرا لأن نجران تمتاز بغنى أحواضها المائية واتساع المساحات الزراعية[٧]، وأيضا هناك مناطق يضرب بخصوبتها وغناها المثل مثل بيشة[٨]، إلى جانب جيزان التي تتميز أوديتها بالخصوبة[٩]، وهناك وادي ترج الذي يوجد به النخيل ومزارع كثيرة[١٠].

كما أن الماء هو عنصر الحياة الأساسية الذي بغيره لا تكون حياة على سطح الأرض فعلى الماء يعتمد الاستقرار والعمران، وعلى أساسه يقوم النشاط الزراعي، وتعد الأمطار هي المصدر الرئيسي للمياه في بلاد نجران وتهامة والسراة، وتسقط على شكل زخات رعدية في فصلي الربيع والخريف[١١]، وتخضع لتأثير جهات نشطة تنشأ بسبب التقاء كتل هوائية [١٢].

وتدخل أرض السروات ونجران ضمن بلاد اليمن السعيد بسبب غزارة أمطارها[١٣]، وتنشأ أودية عديدة من انحدار المياه عقب سقوط الأمطار مثل وادي تبالة، ووادي تثليث[١٤]، ووادي حبونا ، ووادي بارق، ووادي رنية[١٥]، ووادي تربة[١٦] .

---

(١) ذكر جودة حسنين جودة أن التربة السروية تتألف من حبيبات رملية وطينية وتقل فيها حبيبات السيلت والطين، ونسيج التربات خفيف إلى متوسط . انظر : جودة حسنين جودة، ص ٩٩ .

(٢) جودة حسنين جودة، المرجع نفسه، ص ٣٣ .

(٣) عبد الرحمن صادق الشريف، ج١، ص ٣٤ .

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢١ .

(٥) الأزرقي، ج١، ص ٣٨٥.

(٦) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ١٤ .

(٧) جودة حسنين جودة، ص ٣٣ .

(٨) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ١٧٨، فؤاد حمزة، ص ١٦٩ .

(٩) فؤاد هاشم، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٢٨٧ .

(١٠) ياقوت، ج٢، ص ٢١ .

(١١) جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية، ص ٣٤ .

(١٢) ذكر جودة حسنين جودة أنه عندما تتقابل الرياح الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية يصعد الهواء وتكثر الأعاصير ويغزر المطر . جودة حسنين جودة، جغرافية آسيا الإقليمية، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٢٣٦ .

(١٣) جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٣٩ .

(١٤) وادي تثليث : يبدأ من جبال عسير الجنوبية على حدود اليمن أي من سراة فحطان ويتجه نحو الشمال فيخترق الجزء الشرقي من هضبة عسير، وهنا يلتقي به العشرات من الروافد وبعد أن يمر ببلدة تثليث يتجه نحو الشمال الشرقي إلى أن يلتقي بوادي الدواسر . عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٨٩ .

(١٥) وادي رنية : يبدأ من سراة غامد ويتجه نحو الشمال الشرقي فيحاذي حرة البقوم، وعند قرية الروضة ينحني نحو الشرق إلى أن ينتهي عند رغوة قبيل التقائه القديم بوادي بيشة "، عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٨٩ .

(١٦) وادي تربة : يوازي وادي رنية، ويقع إلى الشمال الغربي منه وينبع من سراة زهران ويتجه نحو الشمال الشرقي فيحاذي حرة البقوم وحرة نواصيف من جهة الشمال الغربي، كما يحاذي جنوب حرة حضن بالقرب من بلدة تربة " . عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٩٠ .

وتتجمع مياه السيول المتكونة من الأمطار في وادي ترج[١] أما نجران فتصب إليه سيول صعدة[٢]، وهمدان وتلتقي في نجران جنوب جبل رعوم[٣]، وتكثر الأمطار أيضاً في جازان، ولكن أكثرها يجلب من آبار في شمال شرق جازان[٤]، وذكر ياقوت أن المياه تكثر أيضاً في وادي بيشة[٥]، كما عرفت مناطق عديدة في السروات بوجود جداول بها مثل : آل فراس[٦]، والأرفاغ[٧]، وجاش[٨] . ومن الجداول الهامة في أرض السراة الرساس [٩]، وثاج[١٠] .

وتتميز أرض السروات ونجران بالمياه الجوفية السطحية، لأنه يتجمع بها نسبة كبيرة من المياه الساقطة على مساحة واسعة من الأراضي المحيطة بتلك الأودية [١١]، ولهذا يتم الحصول على المياه سطحياً أو جوفياً على مدار السنة[١٢] . ويعتمد الري في نجران وتهامة والسراة على مصادر متنوعة منها مياه الآبار [١٣]، أو على مياه واد أو نبع يحتجز وراءه سداً صغيراً لجمعها وتوزيعها بواسطة قنوات، ومن ثم يتمكن الفلاح من توجيه المياه نحو الحقول السفلى عن طريق استخدام السواقي [١٤] . ويمكن القول إن السواقي كانت تنتشر في معظم مدن وقرى السراة ومن أهم القرى التي تكثر فيها السواقي قرية أبي تراب [١٥]، وسميت كذلك بسبب كثرة الرياح والسواقي بها[١٦]، وعندما فتحت اليمن ونجران ودخلها الإسلام اهتم المسلمون بإصلاح طرق الري[١٧]، لتأمين وتحسين أحوالهم الاقتصادية[١٨] .

---

(١) ياقوت، ج٤، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .
(٢) حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١٧ .
(٣) عبد المنعم العلامي، ص ٤٨ .
(٤) عبد المنعم العلامي، ص ٤٨ .
(٥) ياقوت، ج٣، ص ١٤٠ـ ١٤١ .
(٦) آل فراس : في بلاد الأزد، أزد السراة بجبال السراة ويسمون آل فراس لكثرة ثلجها وأنشد فيها أبو ذؤيب الهذلي.
**يمانية أجني لها مظ مابد وآل فراس صوب أسقية كحل**
(٧) الأرفاغ : " جمع رفغ وهو جبل لبني سلامان وفيه موضع مياه يشربون منه "، البكري، ج١، ص ١٣٨ .
(٨) جاش : هو بلد من ديار مذحج تنتشر فيه الجداول وأنشد في ذلك أبو علي الهجري، البكري، ج١، ص ٣٤٢ .
(٩) الرساس : هو بئر لبني سلامان " البكري، ج١، ص ٣٤٢ .
(١٠) ثاج : ماء لبني الفرع من خثعم من مياه بيشة . البكري، ج١، ص ٣٣٣ .
(١١) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٩٤ .
(١٢) جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٣٩ .
(١٣) الآبار : إذا قصرت مصادر المياه الثابتة أو الناتجة من تجمع مياه الأمطار أو مياه العيون عن تلبية حاجة الإنسان منها، اضطر إلى حفر الأرض للتفتيش عما قد يكون فيها من مياه، وتسود هذه العملية في بلاد السراة، وإن كانت عمليات الحفر تستخدم بالوسائل اليدوية، وهي عمليات مضنية وشاقة، وتكون فوهات الآبار واسعة وتبنى بطرق بدائية، وتسحب منها المياه مستخدمة الحيوانات، وتصب المياه في أحواض، ومنها إلى قنوات ترابية . عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ١٠٢ .
(١٤) عبد الرحمن صادق الشريف، المرجع السابق، ج١، ص ١٠٢ .
(١٥) أبو تراب : "هو واد في مدينة بيشة يقال له أبو تراب " ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٥٢٨ .
(١٦) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص ٥٢٨ .
(١٧) محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الإسلامي، ص ٥١ .
(١٨) جواد علي، ج٧، ص ٢٤ .

وإذا بحثنا عن المحاصيل الزراعية، في أرض نجران وتهامة والسراة وجدنا أنماطاً متنوعة من أشجار الجبال المثمرة مثل: النخيل وسائر أنواع الفواكه [١]، وأخرى غير مثمر[٢]، ويعد التمر أهم ما تنتجه أجزاء من بلاد السراة، ويعتمد سكانها على التمر في طعامهم ويستفيدون منذ القدم مما يصدرون من التمر الذي يعتبر ثروة ورأس مال يدر ربحا وفيرا[٣]، وقد ربح أصحاب النخيل أرباحا طائلة من اشتغالهم بزراعة النخيل[٤]، ويزرع النخيل في نواح من نجران وتهامة، وتنتج أنواعاً متعددة من التمور [٥]، ويذكر عصام الفقي بأن أهل الجبال ينزلون إلى أجزاء من نجران والسروات عند السفوح الشرقية من بلاد السراة ويقيمون هناك مدة تتراوح ما بين شهرين أو ثلاثة تقريبا لرعاية النخيل، ويقضون هذه الفترة في لهو ومرح وسرور، ويجمعون التمر، ويحصلون من ذلك على ثروة كبيرة تكفي لمعيشتهم طوال العام[٦] .

ويوجد النخيل في مناطق مختلفة من السروات مثل نجران[٧]، وهي من أهم المناطق المشهورة بزراعة النخيل[٨]، فقد عنيت بزراعة النخيل، وكون أهلها بساتين واسعة[٩]، حيث تمتاز بوفرة أحواضها المائية واتساع المساحات الزراعية[١٠]، ويكثر النخيل في بيشة، إذ يذكر بعض المؤرخين أن بيشة تسمى بيشة النخيل [١١]، ولا مبالغة في أقوال المؤرخين حيث تؤكد الأرقام صحة ما جاء في أقوالهم، فيذكر الهمداني " أن عدد النخيل في بيشة حوالي نصف مليون نخلة" والرطب بالإضافة إلى أنواع من التمر التي تزيد على خمسين نوعاً[١٢] .

وترجع كثرة زراعة النخيل في بلاد نجران وتهامة والسراة إلى توافر عناصر المناخ الملائمة له حيث أن الحرارة عالية في بيشة، وهي من مقومات زراعة النخيل، ولولا ذلك ما نجحت زراعة النخيل في أرض بيشة[١٣]، إلى جانب بلاد رنية لأن هذه المنطقة عملت

---

(١) جواد علي، ج٧، ص ٦٨ .

(٢) الشجر غير المثمر: يستعمل حطباً أو في أعمال البناء إذا كان ذا خشب جيد وفي أعمال أخرى " جواد علي، ج٧، ص ٦٦.

(٣) لأن التمر ضرورة يعيش عليها أكثر العرب يأتدمون به ويأكلونه بدلاً من اللحم، وكان الأعراب يأتون أهل الريف بما عندهم من وبر من منتجات البوادي ليبادلوه بالتمر والدقيق بما يحتاجونه إليه في حياتهم البدوية من حاجتهم الضرورية، فكسب أصحاب النخيل أرباحاً طيبة من بيعهم التمور . جواد علي، ج٧، ص ٦٨ .

(٤) عصام الفقي، مظاهر الحضارة الإسلامية في بلاد اليمن، ص ٢٤٤ .

(٥) عصام الفقي، المرجع نفسه، ص ٢٤٤ .

(٦) عصام الفقي، المرجع نفسه، ص ٢٤٤ .

(٧) حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١١٧ .

(٨) حسين بن علي، المرجع نفسه، ص ١١٧ .

(٩) جواد علي، ج٧، ص ٦٧حسين بن علي : المرجع السابق، ص ١١٧ .

(١٠) جودة حسنين جودة : جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٤٠ .

(١١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١٦٩ .

(١٢) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ١٧٨ .

(١٣) ذكر جواد علي أن من أنواع التمور : الصرفان، والبرني، تمر أصفر مدور من أجود أنواع التمور وقيل: ضرب من التمر، والعمر نخل السكر، والبخون ضرب من التمر والصفري، وقد نعت بأنه سيد التمور، ثم السري ثم اللصف، ثم الفحاحيل ثم المجتنى، ثم الجعادي ثم الشماريخ، ثم الشمرخ ثم البياض، ثم السواد وأنواع أخرى كثيرة " جواد علي، ج٧، ص٧٢.

على امتصاص جزء من مياه الفيضان واختزنتها في الرسوبيات الطبيعية في الطبقات الصخرية المحطمة الواقعة تحتها [١] ، فقامت عليها الواحات المليئة بأشجار النخيل[٢]، وهناك نواح عديدة من نجران وتهامة والسراة يتوافر بها أنواع من النخيل[٣] مثل جرش وتربة وزبيد[٤]، التي يحيط بها مجموعة من القرى تزدهر بالنخيل والتي نكثر فيها بساتين الخضر والفاكهة وترويها مياه غزيرة[٥]، وذكر ابن منظور أن مدينة حنذ [٦]، في السروات عرفت بجودة النخيل، وكذلك وادي ترج[٧]، وتمر السراة في بلاد جرش التي تعد من أهم مراكز السروات للاتجار بالتمر وهي تتصل ببيشة عن طريق درب القوافل[٨] . ومن الطبيعي أن يكون النخيل واسع الانتشار في بلاد نجران وتهامة والسراة، لأنه يتحمل الجفاف وكان - دائما - يمثل عصب الاقتصاد في تلك البلاد فهو غذاء رئيسي للبدو مع ألبان الإبل والماعز[٩]، وتستخدم أنواعه الرديئة في غذاء الإبل والأغنام والماعز[١٠].

ومن أشهر الحاصلات الزراعية في السراة القمح، ويزرع في المناطق التي يتوفر فيها الماء، وتعد منطقة بيشة من أشهر مناطق زراعة القمح لوفرة مياهها وخصوبة تربتها، وتختص بإنتاج القمح خاصة في القسم المرتفع من واديها [١١]، وذكر فؤاد حمزة أن سكان تلك الأطراف يعتمدون في حياتهم على زراعة الحبوب لذلك سميت بيشة القمح[١٢] وبلغ من كثرة القمح في بيشة أن قيل " لو أن مع بيشة بيشة أخرى لسابت المعيشة " كناية بذلك عن كثرة خيرات وادي بيشة وخصوبته وغناه[١٣]، كما أن نجران تعد من أهم مراكز إنتاج القمح، وكذلك البلاد الممتدة من أرض جرش حتى الطائف[١٤].

ومن الفواكه التي زرعت في نجران والسروات الجوز والتين والرمان وغيره، وينتشر

---

(١) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٤٦٥ .
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٦٥ .
(٣) إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص ٨٧
(٤) زبيد : هي بنجران وتهامة اليمن في سهل من الأرض ويوجد بها نخل كثير" . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط دار المعارف بالقاهرة الهيئة العامة للكتاب، ص ٣٥ .
(٥) عبد المنعم علامي، جغرافية جزيرة العرب، ص ٤٧ .
(٦) حنذ: هو موضع قريب من مكة، من ديار بني سعد، وهو عين ماء وعليه نخل ويقال لذلك الماء حيئذ" . ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص ٤٨٥ .
(٧) ابن منظور : المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٨٥ .
(٨) فؤاد هاشم، المرجع نفسه، ص ٢٨٣ .
(٩) جودة حسنين جودة : جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ١٠٣ .
(١٠) جودة حسنين جودة : المرجع نفسه، ص ١٠٣ .
(١١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٥٥ .
(١٢) فؤاد حمزة، المرجع نفسه، ص ٥٥ .
(١٣) الهمداني، الإكليل، ج١، ص١٧٨ .
(١٤) حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١١٧ .

في السراة معظم أنواع الفواكه [١]، وذكر القلقشندي أنه لا تخلو قرية من قرى نجران وتهامة والسراة ونجران وبلاد اليمن من أشجار ذات فواكه وأكثرها العنب واللوز[٢] . كما يزرع العنب في نواح متعددة من أرض السراة، وكثرت أصنافه، وتعددت أنواعه، ومن أهم أصناف العنب في هذه البلاد العنب التربي[٣] نسبة إلى مدينة تربة[٤] . والعنب الجرشي، نسبة إلى مدينة جرش[٥]، ويتميز بأنه أحمر اللون، وهناك نوع أبيض يميل إلى الخضرة، وعناقيده طويلة وحلو الطعم[٦] .

ومن أهم مراكز زراعة العنب في السراة مدينة رنية، وخاصة في قرية بني بشر[٧]، حيث يكثر فيها العنب[٨]، أما الجوز فقد اشتهرت بلاد السروات بزراعته حيث ينبت في السراة والمرتفعات الممتدة من نجران إلى الطائف [٩]، واشتهرت نجران وجبال السراة أيضاً بزراعة الفواكه وبالأخص التين[١٠]، مثل التين الوحشي، أو التين البري، ويكثر وجوده في الجبال والمرتفعات، وعرفت جبال السروات بكثرة وجود هذا النوع من التين [١١] .

## ٢. الحرف والصناعات:

كانت الصناعة محل اهتمام ولاة اليمن ونجران وتهامة والسراة فعملوا على ممارستها وتشجيع العاملين فيها على اعتبار أنها مورد الثروة، ومن أهم الصناعات التي ازدهرت في السروات ونجران صناعة المعادن وقد ساعد على تقدم الصناعات المعدنية في هذه البلاد وجود الأيدي العاملة من أهل البلد أنفسهم [١٢]، والخامات المعدنية خاصة، وتوجد المعادن في مناطق متنوعة من نجران وتهامة والسراة، وآثار لمناجم قديمة فيه[١٣]، وكانوا يستثمرونها في الماضي[١٤]، مثل مناجم النحاس والعقيق في نجران وبعض بلدان السراة[١٥]. كما استخرج أبناء السروات الرصاص من مناجم فهم وخولان[١٦] . والحديد من نجران[١٧].

---

(١) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص٥ .
(٢) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد الخطيب، ط دار الكتب العلمية بيروت، (١٩٨٧م)، ج٥، ص ٣٦ .
(٣) جواد علي، ج٧، ص ٧٣ .
(٤) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٧٣ .
(٥) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٧٣ .
(٦) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٧٣ .
(٧) وادي بني بشر : هو من المواضع القريبة من رنية " . الهمداني : صفة جزيرة العرب، ص ١٢٣ .
(٨) الهمداني، المصدر نفسه، ص ١٢٣ .
(٩) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٧٥ .
(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٧٥ .
(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٧٨، ٧٩ .
(١٢) مؤلف مجهول، فتوح اليمن ، ص ١٠ .
(١٣) جواد علي، ج٧، ص ٥٦٨ .
(١٤) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٥٦٨ .
(١٥) السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٠ .
(١٦) الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص ٢٠٤ .السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٠ .
(١٧) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٤.

ووجد الذهب في نجران والسروات، وليس أدل على ذلك من أن البكري أشار إلى مواضع عرفت بوجود خام الذهب، حيث كان الناس يجمعون التبر منه، ويستخلصون منه الذهب مثل جبل حليب بأرض الضباب [١] . وذكر الألوسي أن معدن عشم وضنكان في تهامة بهما كميات ذهب جيدة [٢] . ويستدل على كثرة الذهب في السروات من قول جرير بن عبد الله البجلي: " نحن أهل الذهب الأصفر والأحمر [٣] . ونتيجة لوفرة الذهب في نجران وتهامة والسراة وجودته صارت هذه البلاد تتحكم في أسعار الذهب في الجزيرة العربية، ونستدل على ذلك بما ذكره السيد عبد العزيز سالم أنه حينما ظهرت معادن في السراة كان لظهورها أثر في موازين أسعار المعادن النفيسة خاصة الذهب فهبط سعره في العراق والجزيرة [٤]، وكان استخراج المعادن في نجران وتهامة والسراة لا يمكن أن يتم بغير إتقان أبنائها لصنعة الحدادة، وقد استعمل سكان هذه البلاد مناجم الذهب والفضة والحديد، وعثر في بعضها على أدوات استخدمت في إذابة المعدن[٥]، لاستخلاصه من المواد الغريبة العالقة به[٦] . وقد عثر في جبل ( تهلل) حول مدينة أبها على أدوات أثرية لإذابة المعادن[٧]، وكانت السلطات الحاكمة تأخذ الخمس من معادن نجران[٨]، مما يدل على أن قبائل السروات كانوا يستغلون مناجم نجران في الإسلام .

ومن الصناعات التي ازدهرت في السراة عند ظهور الإسلام صناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها، وكانت جرش من المراكز الكبرى لصناعة المنسوجات[٩]، كما اشتهرت زبيد ونجران وتهامة اليمن بصناعة المنسوجات [١٠]، لجودة صناعتها ونفاسة مادتها، ومن طرائف ما يعمل فيها البرود، وهي منسوجات رقيقة تصنع من الكتان ويدخل في لحمتها بعض المنسوجات الذهبية [١١] ويشير الزبيدي إلى أن البرود النجرانية تتميز بأنها ذات أرضية حمراء وفيها خطوط سود [١٢] وليس أدل على وفرة الحلل النجرانية وجودتها من أن الرسول ﷺ فرض على نصارى نجران ألف حلة في صفر ومثلها في رجب[١٣] . وذكر جواد علي أن الرسول ﷺعندما دفن كفن في ثلاثة أثواب نجرانية[١٤] .

---

(١) البكري، معجم، ج٢، ص ٨٧٥ .
(٢) ذكر الألوسي أن معدن عشم وضنكان هما من مخاليف تهامة " . الألوسي : المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠٤.
(٣) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٠١ .
(٤) السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٠
(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٦٨ .
(٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٦٨ .
(٧) ذكر جواد علي أنهم كانوا يضعون خام الحديد المستخرج من منجمه في فرن مع الخشب والأغصان التي تخالطه، ويعملون على إشعال النار الكافية لإذابة المعدن واستخلاصه من المواد الأخرى التي تجعله هشاً قابلاً للكسر بسهولة، وقد يعالج عدة مرات إن أريد استعماله في السيوف" جواد علي، المرجع السابق،ج٧، ص ٥٦٨ .
(٨) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥١٠ .
(٩) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص٩٢ .
(١٠) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .
(١١) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .
(١٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص ٣٨٧ .
(١٣) ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ص٣٠، أبو يوسف، الخراج، ص١٩٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٥٥ .
(١٤) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨ .

كما اشتهرت جرش بأنها من المراكز الكبرى في صناعة دباغة الجلود[١]، وليس أدل على شهرتها في دباغة الجلود من أنه نسب إليها الأدم المعروف بالأدم الجرشي[٢]، والأديم هو الجلد الذي تمت دباغته، ويدخل في الحرف التي تقوم على تحويل الجلد إلى سلع مثل الأحذية والقباب[٣]، وكانت نجران لا تقل عن جرش في صناعة الجلود، بل كانت تعد أهم مناطق صناعة الجلود في الجزيرة العربية[٤]، إضافة إلى زبيد في تهامة فقد كانت تماثل نجران في صناعة دباغة الجلود[٥]، وتقوم هذه الصناعة على أساس إصلاح الجلد وإبعاد الصوف والشعر والاستفادة منه في أغراض نافعة مثل القرب[٦]، التي يخزن فيها الماء، أو أوعية يحفظ فيها الخمور والسمن والطيب [٧]، وقد استخدم الدباغون مواد مساعدة تعين على التخلص من الصوف والشعر من الجلد بسهولة مثل مادة الجير أو مواد أخرى[٨]، مثل الشب [٩]، ويستعمل الشب في صناعة دباغة الجلود في عموم بلادة السراة [١٠]، الممتدة من نجران إلى الطائف[١١] .

وأشار جودة حسنين إلى أن سكان نجران والسراة صنعوا من منتجات النخيل صناعات متعددة مثل الخوص والليف والخشب والجريد [١٢]، كما استخدم السرويون التمور في صناعة الخل والكحول وعسل التمر والدبس[١٣] .

---

(١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨ .

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦ .

(٣) القباب : هي التي تضرب للملوك والأشراف أمارة على الرئاسة والسيادة وتصبغ جلودها بلون أحمر في الغالب، وغالباً لا يملكها إلا أصحاب الجاه والمال، فكان سادة مكة إذا نزلوا منزلاً ضربوا قباباً من أدم، وكان حكام عكاظ والسادات الذين يحضرون السوق يضربون لهم قباباً، وأما سائر الناس فيضربون لهم بيوت الشعر، وبيوت الشعر أرخص ثمناً من القباب الأدم " جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٣٨ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨ .

(٦) القرب : ذكر جواد علي أنها تعد في ذلك الوقت مهمة جداً في حياة الإنسان، فقد كانت مخازن متحركة يخزن فيها أشياء كثيرة ضرورية، مثل حمل الماء في الحضر وفي السفر، وكانت الأوعية الرئيسية لحفظ الخمور والأنبذة والزيوت والدهون والشحوم والدبس والمواد الغذائية الأخرى، ويحتاج إليها الأعرابي في حله وترحاله والحضري في مستقره وفي سفره، ويعالج إهاب القرب معالجة خاصة حتى لا يتأثر الشراب أو السوائل التي توضع فيها. جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨.

(٧) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨ .

(٨) واستخدمت مواد مساعدة على حفظ الجلد ومنعه من التلف لدبغه مثل العفص وغيره من مواد نباتية دابغة، وقد انف كثيراً من الناس من هذه الصناعة، وتجنبوها لما ينشأ عنها من روائح كريهة . جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨.

(٩) الشب : هو من المعادن الأربعة التي لم تكتمل صورتها وهي الزاج والملح والنشادر والشب، والشب يشبه الزاج وفيه بعض الحموضة، والشب : هو ماء يقطر فيجمد قبل أن يصل إلى الأرض فيصير هذا الشب : جواد على، المرجع السابق، ج٧، ص٥٢٠ .

(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٢٠ .

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٢٠ .

(١٢) جودة حسنين، المرجع السابق، ص ١٠٣ .

(١٣) جودة حسنين، المرجع السابق، ص ١٠٣ .

أما عن الصناعات العسكرية فقد لقيت عناية سادت أرض السراة ونجران قبل الإسلام[١]، واستمر اهتمام ولاة السروات بالصناعات العسكرية بعد الإسلام، وكان لمدينة جرش المكانة الأولى في الصناعات العسكرية، وليس أدل على ازدهار الصناعات العسكرية في جرش من أن الرسول ﷺ أرسل اثنين من أصحابه إلى جرش لكي يتعلما صناعة الدبابات[٢]، والمنجنيق والصنور فيها [٣] .

ولاشك أن اتساع حركة الفتوح يقضي أن يتعلم المسلمون الصناعات العسكرية، ولم تكن جرش قبلة أصحاب الرسول ﷺ فحسب، بل كانت قبلة الجزيرة العربية كلها لتعلم أحدث الصناعات العسكرية، ويشير ابن خلدون إلى أنه عندما علم فرسان الطائف بقصد الرسول ﷺ باتخاذ اجراءات عسكرية نحو الطائف سنة ( ٨هـ/٦٢٩م) [٤]، اتجه عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش لكي يتعلما صناعة المجانيق والدبابات[٥]، ولاشك أن انطلاق فرسان العرب من مختلف أنحاء الجزيرة العربية إلى مدينة جرش يعد أمراً طبيعياً نظراً لأن جرش هي بيت الخبرة في الصناعات العسكرية مثل : صناعة الدبابات وغيرها، ولذلك عمل الرسول ﷺ على استثمار الخبرة العسكرية لأهالي جرش لتعليم المسلمين الصناعات العسكرية .

ومن المناطق التي اشتهرت بالصناعات العسكرية أيضاً نجران وعرفت بإنتاج الدروع، والأسلحة[٦]، ويرجع إلى بلاد السراة فضل السبق في إنتاج القوس الذي يقال لها القوس الماسخية نسبة إلى ماسخة[٧]، وهو رجل من أزد السراة[٨]، لأنه أول من عملها [٩]، وبلغ من قوة القسي ومتانتها أن صارت موضع شعر الشعراء ، ونلاحظ أن اختراع الماسخي

---

(١) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ١٠ .

(٢) الدبابة:هي ألواح خشبية تمشي تحتها الجنود في حرب لهجوم" محمد كرد علي، المرجع السابق، ج٢ ،ص١٠٣ .

(٣) الصنور : جلود تغشى خشباً يدخل فيها الرجال، وقالوا الدبابات تقترب من الحصون لتنقب جدرانها وأسوارها " كرد علي: المرجع السابق، ج٢، ص ١٠٣ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق، ج٢، ص٤٨، محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ط٤، دار الفكر العربي، سنة ١٩٦٤م، ص ١٠٨ .

(٥) ذكر ابن الأثير أنه لما اتجه الرسول ﷺ إلى ثقيف وحاصرهم بالطائف نيفاً وعشرين يوماً ونصب عليهم منجنيقاً، وحل نفر من المسلمين تحت دبابة ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف" ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٩١، للمزيد انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧، ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٠١ . محمد حسين هيكل، حياة محمد، ط السادسة عشر، دار المعارف، ص ٤٣٩ .

(٦) انظر: ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ص ٣٠ .

(٧) ماسخة : ذكر ابن منظور ماسخي، والماسخيات . هي القسي المنسوبة إلى ماسخة من أرض السراة " ابن منظور : لسان العرب، ط دار صادر بيروت، ج٣، ص ٥٥ .

(٨) أزد السراة : قبائل من الأزد نزلوا السراة فنسبوا إليها، وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن كهلان " القلقشندي، المصدر السابق، ص ٩١ . وبلاد أزد السراة الأرض الممتدة من شمال مدينة أبها إلى بلاد غامد وزهران جنوب الطائف. وللمزيد عن بلاد السراة انظر: غيثان بن جريس، كتاب: تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، مجلدان في حوالي ألف صفحة .

(٩) ابن منظور : المصدر السابق، ج٣، ص ٥٥ .

للقوس وليد البيئة وحاجتها إلى هذا السلاح، كما ذكر ابن منظور بأن القواسين والنبالين من أهل السراة كثيرون لكثرة الشجر بالسراة[١] .

## ٣. التجارة :

حرص أهل السراة ونجران منذ صدر الإسلام على تيسير سبل التجارة ونشر الأمن والطمأنينة، وأقاموا المحطات والآبار في طريق القوافل [٢]، وكان لعملهم هذا أكبر الأثر في نشاط التجارة والمراكز التجارية في نجران وتهامة والسراة، وتعتبر بلاد نجران من أهم المراكز التجارية، حيث توجد فيها أنواع متنوعة من الزراعة[٣]، فضلاً عن صناعة المنسوجات الحريرية والحلل، وليس أدل على وفرة الحلل النجرانية وجودتها من أن السلطات الإسلامية كانت تأخذ من نصارى نجران ألفي حلة[٤]، وقد برزت نجران في ميدان الصناعة، فكانت مركزاً تجارياً مهماً لأنها قريبة من الطريق التجاري الذي يمتد إلى الحيرة، كما كانت تتاجر في الجلود وفي صنع الأسلحة [٥]، ويذكر جواد علي أن نجران تعتبر من المراكز الكبرى في تجارة الرقيق [٦] .

وتجارة الجلود تؤدي دوراً مهماً في اقتصاديات السروات، وتعتبر جرش أهم المراكز السروية في معالجة الجلود وتجارتها، فيقال أدم جرشي[٧]، نسبة إليها، كما اشتهرت جرش بالجمال وتنسب إليها الإبل الجرشية [٨]، وكانت من الإبل النجيبة، وأشار جواد علي أنهم كانوا لا يبيعون الإبل النجيبة إلا اضطراراً ويسمونها الحرائز[٩]، وعرفت مدينة جرش بكثرة إنتاجها من العنب فيقال العنب الجرشي نسبة إليها [١٠]، واشتهرت أيضاً بإنتاجها من الصناعات العسكرية مثل المجانيق والدبابات وغيرها[١١] .

وكانت بيشة من أهم المراكز التجارية في أرض السروات، وقد ساعد على ذلك موقعها

---

(١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٢٠ .

(٢) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٢٥٤ .

(٣) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، طبع في مطبعة عيسى الحلبي القاهرة، ص ٥٥، أحمد أمين، المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص ١٩٢، ابن كثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٥٥ .

(٥) أحمد أمين، المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٦) يروى أن الأشعث بن قيس خاصم أهل نجران إلى عمر في رقابهم وكان قد استعبدهم في الجاهلية، فلما أسلموا أبوا عليه فقالوا يا أمير المؤمنين إنا كنا عبيد مملكة، ولم نكن عبيد قن " وعبيد مملكة أي يغلب عليهم فيستعبدهم وهم في الأصل أحرار".جواد علي : المرجع السابق، ج ٧، ص ٥٥٤ .

(٧) ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦، جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص٥٧٨، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص٩٢.

(٨) ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٦ .

(٩) الحرائز : ذكر علماء اللغة أن الحرائز من الإبل التي لا تباع لنفاستها، والحرز خيار المال لأن صاحبها، يحرزها ويصونها، ومن الحديث في الزكاة لا تأخذوا من حرزات أموال الناس شيئاً أي خيارها " جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ١١٤.

(١٠) ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٦ .

(١١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٨١، محمد كرد علي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٠٣ .

الطبيعي وخصوبة تربتها وتنوع تضاريس إقليمها، وكونها متوسطة بين جرش والحجاز والدواسر [١]. وهي مفتاح اليمن من جهة الشمال [٢]، وتعتبر بيشة وجرش من أهم مراكز الاتجار بالتمر، وهذه النواحي تتصل بدرب القوافل[٣]، ورنية من المراكز الحضارية المهمة، وتستمد أهميتها من كثرة مزروعاتها كواحة واسعة غنية بالمزروعات، وكسوق مهم لتبادل المنتجات، وأيضاً كمحطة على طريق القوافل [٤].

أما الأسواق، فقد كانت محل اهتمام ولاة وشيوخ وأعيان السراة فعملوا على حمايتها وحفظ الأمن فيها [٥]، وقد اعتاد أبناء نجران وتهامة والسراة أن يقيموا الأسواق في أوقات معينة في المدن التجارية الهامة التي تعتمد على الأسواق، وقد أدت الأسواق دوراً كبيراً في هذه البلاد سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأدبية[٦]، فكانت السوق مركزاً للبيع والشراء، وبها تعقد الصفقات إذ إن السوق من أبرز ميادين تصريف الإنتاج الزراعي والصناعي[٧]، كما أثرت السوق في الحالة الاجتماعية ففيها يلتقي المسلمون وغيرهم بعضهم ببعض فيتعارفون ويتحادثون، وفيها اختلطت عناصر السكان المختلفة[٨].

وتضم أرض نجران والسروات أسواقاً متنوعة، وهي دائمة في أيام السنة يبيع فيها الباعة ويقصدها المشترون للشراء [٩]، بينما الأسواق الموسمية تعقد في مواسم معينة، فإذا ما انتهى الموسم رفعت[١٠]، ومن أهم أسواق نجران وتهامة والسراة سوق مجنة[١١]، ويقع في جنوب مكة [١٢]، ويقصدها العرب بعد أن تنفض سوق عكاظ في العشر الأخير من ذي القعدة وتجلب إلى سوق مجنة السلع المتنوعة ومن أهمها الخمر، نظراً لوجود اليهود والنصارى والمجوس في السروات ممن يتعاطون الخمر قبل الإسلام وبعده [١٣]، وكانت تحمل إليها من الشام ومن بصرى وغزة، حتى صار الشعراء ينشدون بخمرها الشعراء مثل: أبي ذؤيب الهذلي [١٤]

---

(١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٦١ .

(٢) عبد المنعم علامي، المرجع السابق، ص ٤٧ .

(٣) فؤاد هاشم، المرجع السابق، ص ٢٨٣ .

(٤) عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ط السعودية، ج٢ ، ص ٤٦١ .

(٥) ذكر الأزرقي أنه كان من عادة ولاة مكة أن تبعث إلى سوق حباشة في أرض تهامة رجلاً يخرج بجنده ويقيم هناك ثلاث أيام متوالية . الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص ١٩٢ .

(٦) ذكر الأزرقي أن في الناس من كان يخرج إلى سوق مجنة يريد التجارة، ومنهم من لم تكن له تجارة . الأزرقي : المصدر السابق، ج١، ص ١٨٨ .

(٧) علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٨٤ .

(٨) علي حسني الخربوطلي، المرجع نفسه، ص ١٨٤ .

(٩) جواد علي، ج٧، ص ٣٦٥ .

(١٠) جواد علي، ج٧، ص ٣٦٥ .

(١١) المجنة: " سوق بأسفل مكة قرب جبل يقال له الأسفل " الأزرقي، أخبار مكة، ص١٨٨ ( هامش ٤ ) .

(١٢) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص١٨٨، ياقوت : معجم البلدان، ج٥، ص ٥٩ .

(١٣) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥ .

(١٤) ذكر ياقوت أبا ذؤيب الهذلي وهو ينشد، قائلا : في خمر مجنة :

ومن الأسواق الثابتة سوق الحجور، ويتسوق فيه أهل نجران وتهامة وأهل الجبال، حيث تباع فيه الأخشاب[١] التي تكثر في جبال السروات إلى جانب سوق الجريب [٢]، وهو سوق لأهل تهامة وعثر، وفي غربي زبيد باليمن ،وأهم ما اشتهر به سوق الجريب المشروبات كالخمر بالإضافة إلى البرود، وهي منسوجات رقيقة تصنع من الكتان، ويدخل في لحمتها خيوط الذهب العرضية في المنسوجات[٣]، ويعتبر سوق القويدرة من أهم أسواق تهامة، ويقع في شمال شرق مدينة زبيد اليمنية[٤].

ومن أسواق السروات وتهامة عند ظهور الإسلام سوق حباشة[٥]، وهي سوق الأزد[٦]، وتقع في ديار الأوصام [٧]، من أرض بارق، وكانت تقام في شهر رجب[٨] . وتعتبر سوق حباشة المتجر المتوسط المشترك بين الحجاز واليمن، وهي من أسواق نجران وتهامة القديمة [٩]، ومن أسواق العرب في الجاهلية والقرنين الأوليين من عصر الإسلام [١٠]، وذكر البكري أن الرسول ﷺ تاجر فيها بأموال السيدة خديجة[١١]، وكانت سوق حباشة تتمتع بما تتمتع به الأسواق الكبرى من مزايا، حيث يكون فيها فداء الأسرى، وطلب الثأر [١٢]، إلى جانب أمور التجارة[١٣]، ونستدل على ذلك بما ساقه سعيد الأفغاني أنه لما قتل

---

سلافةُ راح ضُمنتها إداوةٌ ... مقيرةٌ ردفُ لمؤخرة الرحلِ
تزودها من أهَّل بُصرى وغزة ... على جسرة مرفوعة الذيل والكفلِ
فوافى بها عُسفان ثم أتى بها ... مجنة تصفو في القلال ولا تغلي

ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص ٥٩ .

(١) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٢٥٤ .

(٢) وذكر ياقوت أن الجريب من مخاليف اليمن بزبيد . ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٨٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٥) سوق حباشة: هي أكبر أسواق تهامة، وكانت تقوم ثمانية أيام في السنة، قال حكيم بن حزام رأيت رسول الله ﷺ يحضرها وهو يتجر في مال السيدة خديجة قبل البعثة . البكري، معجم، ج٢، ص ٤١٨ .

(٦) لم تكن سوق حباشة يتسوق بها الأزد جميعاً، إنما هي خاصة بقسمين من أقسام الأزد وهم أزد شنوءة، وهو بنو نصر بن الأزد وشنوءة لقب غلب على أولادهم، وأزد السراة : هو موضع بأطراف اليمن، نزلت به فرقة من الأزد فعرفوا به، وكان أزد شنوءة مجاورين لأزد السراة، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٩١ .

(٧) الأوصام : هي قرية كبيرة باليمن . الأزرقي، ج١، ص ١٩١ ( هامش ٧) .

(٨) الأزرقي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٢، جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٧٦ .

(٩) ياقوت، معجم، ج٢، ص ٢١٠، جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٧٦ .

(١٠) عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، ص ١٢ .

(١١) البكري، ج٢، ص ٤١٨، وذكر ياقوت أنه لما استوى رسول الله ﷺ وبلغ أشده وليس له كثير مال استأجرته خديجة إلى سوق حباشة، وهو سوق في تهامة، واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش، قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عنها، " ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا تحفة من طعام تخبئه" ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(١٢) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(١٣) ذكر ياقوت أن هاشم بن عبد مناف ولد صيفاً، وأبا صيفي واسمه عمرو أو قيس وأمهما حية، وهي أمة سوداء كانت لمالك أو عمرو بن سلول والد عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، وقال اشتريت حية من سوق حباشة وأخوهما لأمهما مخرقة بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي . ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١١ .

الشنفرى الشاعر حرام بن جابر قاتل أبيه [١] ،ثم أتى رجل إلى أسد بن جابر أخي المقتول فقال له : " تركت الشنفرى بسوق حباشة، فرصد له قوم القتيل حتى أسروه وقتلوه[٢] . ويشير الأزرقي إلى أن سوق حباشة بقيت قائمة حتى أواخر القرن الثاني سنة سبع وتسعين ومائة في العهد العباسي زمن داود بن عيسى ابن موسى العباسي عندما كان والياً على مكة [٣] .

وتعيش معظم أسواق السراة ونجران أوج ازدهارها حينما ينضج البلح، وينزل أهل الجبال إلى نجران وتهامة وبيشة، ويجمع المحصول ويشتريه الناس من أصحابه ويبيعونه في أسواق بلادهم [٤]، وتعد بلاد نجران وجرش [٥]، من أهم مراكز السراة للاتجار بالتمر، وهي تتصل ببيشة عن طريق درب القوافل[٦] .

ومن أهم طرق نجران والسراة، الطريق الممتدة من نجران إلى مكة، ثم إلى البصرة[٧]، وقد أشار جواد علي إلى أسماء مواضع يمر بها الطريق من نجران إلى البصرة[٨]، وقد سلك تجار مكة في ذهابهم إلى اليمن وفي إيابهم عدة طرق عبر نجران وتهامة والسراة، منها ما تمر بالساحل، ومنها ما تمر عند سفوح السروات الشرقية[٩]، وهو يبدأ من مكة ثم إلى قرن المنازل، وهي قرية كبيرة، ثم إلى تربة، ثم إلى رنية، ثم إلى تبالة[١٠]، ثم إلى بيشة ثم إلى يبنبم، ويذكر أن المسافة بين يبنبم وجرش حوالي أربعة عشر ميلاً[١١]، ثم إلى سروم راح، ثم إلى المهجرة[١٢]، بينما أهل اليمن إذا أرادوا مكة

---

(١) الشنفرى : هو لقبه ومعناه عظيم الشفة واسمه ثابت بن جابر من بني الحارث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهنوء بن الأزد ) انظر: الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج٢، ص ١٣٤ .

(٢) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٢٥٩، وللمزيد عن قتل الشنفرى، انظر: الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٦.

(٣) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٢٥٩، ( وذكر الأزرقي أن السبب في خراب سوق حباشة يرجع إلى أن من عادة ولاة مكة أن يستعملوا عليها رجلاً يخرج معه بعض الجند فيقيمون بها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب، واستمر الأمر على هذا حتى قتلت الأزد والياً عليها بعثه داود بن عيسى، فأشار فقهاء مكة على داود بتخريبها فخربها. الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٩٢، جواد علي، المرجع السابق، ج٣، ص ٣٧٦ .

(٤) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٢٥٥ .

(٥) انظر: فؤاد هاشم، جغرافية جزيرة العرب، ص ٢٨٣ . وعن تاريخ وحضارة مخلاف جرش انظر: الأزرقي، ج١، ص ٩٢، جواد علي، ج٣، ص٣٧٦، غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) ( الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص ٩٣-١٢٦ .

(٦) المصادر والمراجع نفسها .

(٧) جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص ٣٨، محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ط٣، القاهرة سنة ١٩٦٨م، ج١، ص ١٥٣، جواد علي، ج٧، ص ٣٤٤ .

(٨) ذكر جواد علي أن من أسماء المواضع التي يمر بها الطريق من نجران إلى البصرة هي نجران، ثم كوكب، ثم الجفر، ثم العقيق، ثم الفلج ثم : الخرج، ثم الخضرمة، حتى البصرة. جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٤٤ .

(٩) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٤٤ .

(١٠) انظر البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٠١ .

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦١ .

(١٢) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦١ .

قصدوا الرحابة، ثم إلى رافدة، ثم إلى خيوان، ثم إلى صعدة[١]، ثم إلى بيشة، ثم تبالة، ثم رنية، ثم إلى الفتق، ثم بستان ابن عامر[٢]، ثم إلى مكة[٣] .

ويعتبر طريق بيشة من أهم طرق السروات، نظراً لموقعها الطبيعي وخصوبة تربتها وتنوع إقليمها وكونها متوسطة بين نجران والحجاز والدواسر، فأصبحت ذات أهمية كبيرة من ناحية المواصلات حيث تقع على نقطة مهمة في الطريق بين وادي الدواسر ومكة المكرمة[٤]، ويعتبرها العرب مفتاح اليمن من ناحية الشمال[٥] . وهناك طريق آخر مهم هو طريق أسعد كامل نسبة إلى الملك، وهو يربط بين المناطق المرتفعة الزراعية في الجنوب والمناطق الشمالية في السراة، ويمتد إلى شمال الطائف، ويتصل بطريق الحجاز[٦]، ويمتد طريق أسعد كامل من خيوان وأعالي خولان في اتجاه بيشة [٧]، ثم يسير في منعرجات ضيقة إلى الطائف[٨] .

وكانت طرق نجران وتهامة والسراة في العصور الإسلامية المختلفة مع بلاد العالم القديم على ما كانت عليه من الازدهار قبل الإسلام، حيث كانت تربطها طرق تجارية عديدة مع البلاد. ومن أهم هذه الطرق، طريق رنية ويمر منها طريق الطائف، الخرمة، رنية، بيشة، ومنها إلى المناطق الجبلية، لذلك قيل في كتب الأدب إن رنية من الأعراض الهامة[٩]، وتستمد بلاد رنية أهميتها من كثرة مزروعاتها ولازالت كواحة واسعة غنية بالمزارع، وكسوق هام لتبادل المنتجات، وكمحطة على طريق القوافل أيضاً [١٠]، ومازالت مزروعات رنية طريقاً مهمة للمواصلات حتى وقتنا الحاضر[١١] .

أما العملة، فلم يكن للعرب ومن ضمنهم أهل نجران وتهامة والسراة عملة خاصة بهم،

---

(١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦٢ .

(٢) بستان ابن عامر: ذكر جواد علي أن بستان ابن عامر عند موضع نخلة ويقال لها مجمع النخلتين اليمانية والشامية، وإذا قال بستان ابن عامر بنخلة، وهو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦٢ .

(٣) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦٢ .

(٤) عبد المنعم علامي، المرجع السابق، ص ٤٧ .

(٥) عبد المنعم علامي، المرجع السابق، ص ٤٧ .

(٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٢، ص ٥٨٠ .

(٧) بيشة : " من عمل مكة مما يلي اليمن من مكة على خمس مراحل منها " ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص٥٢٩ .

(٨) ذكر جواد علي أن هذا الطريق يعتبر تحولاً خطيراً في الطريق البرية القديمة التي كانت تسير في حافلة الصحراء الشرقية المتصلة بالجوف، إذ يشير تحول هذه الطرق من الأرض السهلة إلى الهضاب التي يعيش عليها المزارعون الذين يعيشون على الزراعة التي تعتمد على المطر، وقد شمل هذا التحول فيما شمل طريق البخور واللبان القديم " جواد علي، المرجع السابق ، ج٢، ص ٥٨٠ .

(٩) عبد الرحمن صادق الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٦١ .

(١٠) المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٦١ .

(١١) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص٥٠، للمزيد عن التجارة والطرق التجارية في بلاد نجران وتهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة انظر: غيثان بن علي بن جريس "ملامح النشاط التجاري لبلاد نجران وتهامة والسراة في العصور الوسطى " بحث مقدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة من ( ٢٥-٢٧ /٨/ ١٤٢١هـ الموافق٢١-٢٣/ ١١/ ٢٠٠٠م) ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : طرق التجارة العالمية- عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ ( حصاد ٨) (القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ص ١٥٧-٢٢٢ .

وكانت العملة المتداولة في بلاد العرب هي الدنانير البيزنطية أو الدراهم الساسانية[١]، وأشار ابن القيم إلى أن الرسول ﷺ فرض على أهل الذمة في اليمن جزية مقدارها دينار عن كل حالم ذكر أو أنثى حراً أو عبداً[٢]، وقد سبق القول إن معظم أهل الذمة في اليمن يقطنون منطقة نجران، ويتضح من ذلك أن الدينار هو العملة المتداولة في أرض السراة، ويشير المقريزي إلى أن الرسول ﷺ أقر النقود في الإسلام على ما كانت عليه [٣]، وكذلك فعل أبو بكر ولم يغير منها شيئاً[٤]، وعندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة ضرب الدراهم على نقش الكسروية وشكلها غير أنه زاد في بعضها ( الحمد لله ) وفي بعضها ( محمد رسول الله ) وفي بعضها ( لا إله إلا الله وحده ) [٥]، أما الدنانير البيزنطية فقد خضعت لتطور تدريجي بدأت بالشارات المسيحية حيث طمست من فوق تيجان الأباطرة[٦]، وتظهر الكتابات العربية وصور الخلفاء إلى أن أصبحت هذه الدنانير عربية تماماً في عهد عبد الملك بن مروان[٧] .

وقد أدى أبناء السروات دوراً كبيراً في سك العملة، وفي هذا الصدد ذكر المقريزي " أن هشام بن عبد الملك أمر خالد بن عبد الله القسري سنة (١٠٦هـ/٧٢٤م) أن يعيد العيار إلى وزن سبعة[٨]، وأن يبطل السكة من كل بلدة إلا واسطا، فضرب الدرهم بواسط فقط، وكبر السكة فضربت الدراهم على السكة الخالدية، حتى عزل خالد سنة (١٢٠هـ/ م ) [٩] .

كما حرم الإسلام التعامل بالربا، ولكن اليهود والنصارى في نجران أباحوا لأنفسهم التعامل بالربا[١٠]، ونتج عن ممارستهم الربا أن عظمت ثروتهم، وزاد بأسهم وأحكموا السيطرة على البلاد اقتصادياً، حتى أصبح اقتصادهم بهدد الاقتصاد الإسلامي

---

(١) الدرهم الساساني : هو قطعة مستديرة من الفضة على أحد وجهيها نقش بمثل الجزء العلوي من صورة كسرى فارس، ويظهر وجهه في وضع جانبي وعلى رأسه التاج الساساني، وعلى الوجه الثاني للدرهم حارسان يحملان السلاح أو واقفان بدونه فيمكن اعتبارهما كاهنين بينهما معبد النار الذي يسهران على خدمته، انظر: عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ط سنة (١٩٦٤م)، ص ٢٢ـ ٢٤ .

(٢) ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ص٢٩ .عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٢٦٤، جرجي زيدان، مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، المجلد الحادي عشر، ص ٣٥٧ .

(٣) المقريزي، النقود القديمة الإسلامية، تحقيق أنستاس ماري الكرملي البغدادي، ط القاهرة سنة (١٩٣٩م)، ص٣٠ .

(٤) عبد الرحمن فهمي محمد، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، ط دار الكتب سنة ( ١٩٦٥م)، ص ٣٠.

(٥) المقريزي، المصدر السابق، ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٦) عبد الرحمن فهمي محمد، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ، ص ٢٨ .

(٧) عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص٢٨ .

(٨) أي جعلت العشرة من الدراهم الفضة بوزن سبعة مثاقيل من الذهب ،لأن الذهب أوزن من الفضة وأثقل وزناً، فأخذت حبة فضة وحبة ذهب ووزنتا فرجحت حبة الذهب على حبة الفضة ثلاثة أسباع، فجعل من أجل ذلك كل عشرة دراهم زنة سبعة " المقريزي، المصدر السابق، ص ٤١ .

(٩) المقريزي : المصدر السابق، ص ٤٤ـ ٤٥، وذكر البلاذري، ان النقود الخالدية تعتبر أجود نقود بني أمية ولم يقبل الخليفة المنصور نقوداً من بني أمية غيرها، البلاذري، كتاب النقود، ط القاهرة سنة ( ١٩٣٩م)، ص ١٥ .

(١٠) القاضي أبي يوسف، يعقوب، الخراج، ص ١٩١ .

الوليد، بينما ضعف أمر المسلمين، مما أثار القلق في قلب الخليفة عمر بن الخطاب فأجلاهم عن نجران.

## رابعاً: بعض المظاهر الاجتماعية:

### ١ـ المرأة:

تتمتع المرأة في السروات وبلاد نجران بقسط من الحرية، وتستشار في مهام الأمور[١]، ويتضح ذلك حينما شكا سيد خثعم إلى ابنته وقال "أن محمداً أخذ أولادي الثلاثة وهم إخوتك وأدخلهم في دينه" فلما سمعت (الزلفا) من أبيها ذلك قالت له "يا أبي أما ما ذكرت من أمر اخوتي فإنهم ذو عقول راجحة وآراء سديدة، ولولا أنهم ظهر لهم الحق وبان لهم الصدق ما كانوا اتبعوا محمداً قط، فإن أطعتني يا أبي فندخل في دين محمد ونصالحه ونأخذه لنا صديقاً، وتحفظ أموالك وأولادك وبلادك، وتترك عبادة الأصنام، فإن فعلت ذلك كان هذا خيراً لك مما أنت فيه من هذا العناد وأمور الفساد"[٢]. وكانت المرأة تشارك في كثير من الأعمال مثل رعاية الأولاد وغيرها[٣]، وليس أدل على مركز المرأة الممتاز في السراة من أن الرجل كان يفخر بنسبه لأمه كما يفخر بنسبه لأبيه[٤]، مثل: "عبد الله بن بحينه" الذي ينسب نفسه إلى "بحينه" وهي أمه[٥]، وأبوه مالك بن قشب الأزدي، من أزد شنوءة[٦]، وأيضاً سعد بن حبته[٧]، و"حبتة" أمه، وأبوه بجير بن معاوية بن سلمى من بجيلة[٨]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن أبناء السروات قد مجدوا أمهاتهم، وتباهوا بعراقة أنسابهم، بل انتسبوا إليها، ولم يكن النسب إلى الأم قاصراً على الأفراد بل شمل القبائل أيضاً في أرض نجران وتهامة والسراة وذكر ابن حزم: أن قبيلة من أنمار بن أراش بن الغوث تسموا باسم أمهم بجيلة[٩]. وتقدير أبناء نجران والسراة لقيمة الأمومة من العوامل التي دفعتهم إلى تعظيم المنجبات، وضربوا بذلك مثلا عالياً يحتذى به في مجتمع يقدر الأم، ومن أشهر نساء السروات التي ضرب بها المثل في سرعة الإنجاب هي "أم خارجة"[١٠]،

---

(١) عصام الفقي، مظاهر الحضارة الإسلامية في بلاد اليمن، ص ٣٠٣.

(٢) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ١٣٢، المتأمل في المعلومات المدونة في هذا الكتاب يجد فيها روايات ترتقي إلى عالم الخيال، وعندما نبحث في مصادر أخرى لا نجد ذكراً لها في تلك المصادر.

(٣) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٣٠٤.

(٤) يوسف أحمد القوصي، التاريخ العربي الإسلامي، القاهرة (١٩٧٧م)، ص ٨.

(٥) ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٢٦٧.

(٦) ابن عبد البر القرطبي، المصدر نفسه، ص ٢٦٧

(٧) حبتة: هي أمة بنت مالك من بني عوف، القرطبي، المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٨) ابن عبد البر القرطبي، المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٩) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٧.

(١٠) أم خارجة: هي عمرة بنت سعد بن عبيد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار.

لأنهـا ولدت أبناء في أكثر من عشـرين قبيلة من آباء متفرقـين[١]، وذكر ابن حزم أن من جملة أزواجها زياد العبسـي، وقد ولدت له الكملة، وربيعاً، والكامل، وقيس الحفاظ، وأنس الفوارس، وعمر الوهاب، أو عمارة، وكل منهم ساد في الجاهلية وقاد جيشاً"[٢]. وأشار أحمد الحوفي إلى أن أم خارجة سئلت : أي بنيك أفضل ؟ فقالت: الربيع، بل عمارة، بل قيس، بل أنـس، ثـم قالـت : ثكلتهـم إن كنـت أعلـم أيهم أفضـل هـم كالحلقـة المفرغـة لا يدرى أين طرفاها[٣].

## ٢ـ الزواج، الأسرة وتربية الأطفال، الزينة :

### أ ـ الزواج :

يعتبر الزواج من أهم الأفراح في حياة الإنسان، فيحتفل الناس به بإقامة المآدب وبدعوة ذوي القربى لمشـاركة الزوجين أفراحهم [٤]، والزواج يمثل دوراً اجتماعياً مهماً لأنه يؤدي إلى ترابط الأسـر البعيدة، وقد يؤدي إلى ترابط العشائر مع بعضها[٥]، لذلك كانت قبائل نجران وتهامة والسراة تهتم باختيار الزوجة وكانوا يهدفون أن تكون زوجاتهم كفئات، ومن النجيبـات[٦]، وليس أدل على ذلك من وصـية الحارث بن كعـب لأبنائه " تزوجوا الأكفاء، وتجنبـوا الحمقـاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون[٧]، أي أغبـى وأحمق ما يكون، والكفاءة في النكاح تعني أن يكون الزوج مسـاوياً للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك[٨]، والزواج رباط اجتماعي، وعقد بين طرفين يترتب عليه حقوق وواجبات[٩]، وتنوعت أنماط الزواج لدى قبائل السروات مثل زواج الحمس، وزواج الأباعد ( الخارجي) ، وزواج داخلي، وزواج الأسر إلى جانب نظام تعدد الزوجات[١٠].

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٨٩ .

(٢) المصدر نفسه، أحمد الحوفي : المرجع السابق، ص ٨٧ .

(٣) أحمد الحوفي، ص ٨٧ .

(٤) علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٢٣ .

(٥) جواد علي، ج٤، ص ٦٢٩ .

(٦) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ط بغداد، ج١، ص ١٤٢ .

(٧) صالح أحمد العلي، المرجع نفسه، ج١، ص١٤٢ .

(٨) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٥ .

(٩) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٥٠٩ .

(١٠) لم يكـن تعـدد الزوجات عيبـاً كبيراً في ذلك الحين، كما لم يكـن زواج المرأة بعدة أزواج علـى التوالي غريباً، فبين نساء نجران وتهامة والسراة من تزوجت أكثر من عشرين زوجاً على التوالي مثل أم خارجة، وهي عمرة بنت سعد بـن عبـد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاويـة بن زيد بن الغوث بن أنمار، التي يقال فيها أسـرع من نكاح أم خارجة، وتزوجها رجل من إياد، ثم تزوجها بعده بكر بن مزيقياء، ثم خلف عليها جشم بن مالك بن كعب بن القين بن جسر فولدت له عرانية، ثم خلف عليها عامر بن عمرو البهراني، ثم تزوجها عمرو بن تميم بن مر، وغيرهم . ابن حزم : المصدر السابق، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

## ١-زواج الحمس :

بالرغم من اختلاف عادات الزواج لدى قبائل نجران وتهامة والسراة، إلا أن هناك بعض القبائل لها مراسم واحدة في الزواج، وهي القبائل التي تعظم الحمس مثل: خثعم[١]، وبني عامر[٢]، والحارث بن كعب، وقبيلة بجيلة، ويذكر بيومي مهران أنه إذا بلغت الفتاة سن الزواج ألبسوها ما يزينها وخرجوا بها سافرة إلى المطاف، ثم أعادوها إلى بيتها لتبقى فيه لا تخرج إلا إلى بيت من يتزوجها[٣]، والغرض من طوافها هو عرضها سافرة على أعين الخاطبين، ولعلهم اختاروا المطاف بجوار البيت ليأمنوا نظرات الفاسقين[٤]، وعند زواجها اشترطوا على زوجها أن يكون أبناؤها أحمسيين على دينهم[٥] .

كانوا يتزوجون بالصداق [٦]، وهو مهر المرأة أي ما يدفعه الرجل إلى أهل البنت عند عقد الزواج، وترادف الصداق كلمة أخرى هي المهر[٧]، وذكر جواد علي أن طريقة هذه القبائل التي تعظم الحمس في دفع الرجل ( المهر ) للزوجة تناقض المألوف عند اليونان والرومان[٨]، والأصل في المهر دفعه للمرأة، غير أن ولي أمرها هو الذي يأخذه لينفق منه على ما يشترى لتأخذه المرأة معها إلى بيت الزوجية[٩]، وقد يأخذ ولي أمرها المهر لنفسه ولا يعطي المرأة منه شيئاً لاعتقاده أن ذلك حق له، لذلك نهى الله عن ذلك في قوله ( وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً )[١٠]، ويعد المهر علامة شرف وفريضة لازمة لصحة عقد الزواج، وكانوا لا يقرَون زَواجاً إلا إذا كان بمهر[١١]، ولكن لا يشترط دفع مهر إذا كانت المرأة قد وقعت في أسر فيتزوجها آسرها لأنها أسيرته ومن ثم فهي ملكه[١٢]، والمهر ليس له حد معلوم، بل يتوقف ذلك على الاتفاق، وتراعى في ذلك الحالة المالية للرجل في الغالب، ولما كانت النقود قليلة في ذلك العهد كان المهر عيناً في

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ١٧٨، ١٧٩ .

(٢) ذكر ابن هشام أن بني عامر كلهم حمس لتحمس أخوتهم بني ربيعة بن عامر. انظر:ابن هشام:المصدر السابق،ج١، ص ١٨٥.

(٣) بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ط الإسكندرية، ص ٤٢٥ .

(٤) بيومي مهران، المرجع نفسه، ص ٤٢٥ .

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ص ٣٦٢ .

(٦) بيومي مهران، المرجع السابق، ص ٤٢٥ .

(٧) ذكر ( روبرتسون سميث ) أن ترادف معنى الصداق، والمهر إنما حدث في الإسلام أما في الجاهلية فقد كان هناك فرق بين مدلول الكلمتين، فإن المراد من كلمة الصداق عند الجاهلين هو ما يقدم إلى العروس، أما المهر فهو ما يقدم إلى الوالدين . جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٣٣٦ .

(٨) حيث جرت عاداتهم أن تقدم المرأة صداقها إلى زوجها نقداً أو عيناً، وهي الطريقة المألوفة عند الغربيين حتى الآن وكان الرومان يستغربون طريقة الجاهليين في دفع المهر، جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٤٤٦ .

(٩) علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص ١٢٠، جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٣١ .

(١٠) سورة النساء، آية : ٤ .

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٣٠ .

(١٢) جواد علي، ج٥، ص ٥٣٠.

الأكثر[١]، ويتضح ذلك في قبيلة جنب[٢]، فقد كان مهرها أدماً[٣] .

## ٢. الزواج بالأباعد :

انتشر هذا الزواج بين بعض قبائل نجران والسراة مثل: جنب، وبنو الحارث بن كعب، وخثعم، وبنو حلف[٤]، وبنو كلب[٥]، بالإضافة إلى الصعاليك . ومن أهم الدواعي التي دفعت تلك القبائل إلى الزواج بالأباعد هو الاعتقاد بأن هذا الزواج أدعى إلى إنجاب النجباء من الأولاد[٦]، وفي ذلك يقول الشاعر :

**تجاوزت بنت العم وهي حبيبة مخافة أن يضوى على سليلي**[٧]

وذكر ابن قتيبة من صور الزواج بالأباعد أن "مهلهلاً" صار إلى قبيلة جنب من قبائل السروات فخطبوا إليه فزوجهم وهو كاره لاغترابه عن قومه، وكان مهر ابنته من الأدم[٨]، وأنشد في ذلك شعراً[٩] .

والزواج بالأباعد شاق على المرأة في بلاد السروات ونجران، لأنه يستلزم أن تترك عشيرتها لتسكن مع عشيرة زوجها الغريبة البعيدة عنها"[١٠]، لكن بعض العشائر السروية والنجرانية والتهامية لم تكن تمانع في هذا الزواج لكي يصاهروا من هو كفء لهم"[١١]، مثل قبيلة خثعم، ويذكر الزبيري بأنه عندما تقدم جعفر بن أبي طالب إلى أسماء بنت عميس الخثعمية"[١٢]، وافقوا فولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً"[١٣] . ثم تقدم لها أبوبكر، فولدت له محمداً بني أبي بكر"[١٤]، ثم وافقوا أيضاً على الإمام علي فولدت له يحيى بن علي بن أبي

---

(١) جواد علي، ج٥، ص ٥٣١ .

(٢) جنب : أرومة عظيمة من مذحج يقال أنهم ستة رجال منبه والحارث والغلي وسيحان وشمران وهفان وسُموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء، وحالفت صداء بني الحارث، الهمداني، الإكليل، ط القاهرة، ج١، ص ١١٩ .

(٣) الأدم : اسم جمع للأديم، والأديم الجلد، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص ٩١.

(٤) بنو حلف : هم بنو حلف بن خثعم وكان لحلف بين عفرس وناهس وشهران وربيعة، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٣٤ .

(٥) بنو كلب :هم ربيعة بن خثعم، القلقشندي : المصدر السابق، ص ٤٠٨ .

(٦) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ج١، ص ١٦١ .

(٧) المرجع نفسه .

(٨) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص ٩١ .

(٩) انظر ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٣، ص ٩١ .

(١٠) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٢ .

(١١) صالح أحمد العلي، ج١، ص ١٤٢.

(١٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧٧، ابن حزم :المصدر السابق، ص ٣٩١.

(١٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧٧، ابن حزم :المصدر السابق، ص ٣٩١.

(١٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧٧، ابن حزم : المصدر السابق، ص ٣٩١.

طالب"[١]، وكذلك كانت أختها سلمى بنت عميس التي تزوجها حمزة بن عبد المطلب"[٢]، وقد يتزوج الخلعاء أيضاً مثل هذا الزواج من خارج قبيلتهم الأصلية، ويختارون زوجاتهم من القبيلة التي تجيرهم"[٣].

وكان لسكان نجران والسروات في الزواج مراسم معينة حيث كان أبناء السادة أو أفراد القبائل عموماً لا يتزوجون إلا من بنات القبائل المناظرة لهم في الشرف والمكانة مثلما حدث مع أسماء وسلمى، بل كان أبناء السادة يرفضون الزواج من بنات أصحاب الصناعات والحرف البسيطة، كالحلاقين أو صانعي الأحذية أو العبيد مهما يكن فيهم من مواصفات جيدة، فهم ينظرون لهم كعبيد أو في مرتبة اجتماعية أدنى من مرتبتهم"[٤]. وقد ترفعت المرأة السروية على أن تتزوج العبد أو الحر المنحدر من العبودية [٥].

## ٣. الزواج الداخلي:

هذا الزواج يعتبر الزواج الشائع لدى السواد الأعظم من قبائل نجران وتهامة والسراة، مثل بجيلة، وذلك لدواع متنوعة منها طبيعة الحياة في بلادهم، حيث تعيش العشائر السروية في منطقة جبلية منعزلة[٦]، وبالتالي يكون الاتصال بين أوطانهم وغيرها صعباً، بالإضافة إلى أن الزواج الداخلي أدعى إلى أن تحافظ القبيلة على انسجامها ووحدتها[٧]، ويدلل على ذلك ابن دريد بقوله: إن جرير بن عبد الله البجلي زوج ابنته إلى رجل شريف من نفس قبيلته هو أبو أراكة[٨]، وهو صاحب دار أبي أراكة بالكوفة[٩]، عملاً بالعرف القائل القريب أولى بالبنت من البعيد[١٠]. ومن الملاحظ أن الزواج الداخلي، وإن كان الغالب، إلا أنه لم يكن قاعدة ملزمة للجميع، بل كانت قبيلة بجيلة نفسها لا تمانع الزواج الخارجي أحياناً إذا توافر في النسب من هو كفء لهم [١١]، ونستدل على ذلك من أن جرير بن عبد الله

---

(١) ابن حزم، ص ٣٩١ .

(٢) مصعب الزبيري، المصدر السابق، ص ٢٧٧ .

(٣) ابن حزم : المصدر السابق، ص ٣٩١ .

(٤) ولا زال التمايز في مجتمعات نجران وتهامة والسراة حتى اليوم، فالغالبية لا يزوجون نساءهم إلا من يساويهم في النسب، ومع كثرة النساء وازدياد العنوسة أصبح هناك من يتغاضى قليلاً في تزويج بناتهم .

(٥) انظر : الألوسي المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٣ .

(٦) ذكر أحد الباحثين أن منطقة السراة تشكل كتلة جبلية تقع إلى الجنوب من بلاد الحجاز كما يزداد ارتفاع الجبال وتشتد وعورتها، كلما اتجهنا جنوباً. انظر: جودة حسنين جودة. جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص٣٩ .

(٧) صالح أحمد العلي، ج١، ص١٦١ .

(٨) أبو أراكة : هو اسمه، والأراكة : شجر معروف ويقال أرك بالمكان يأرك إركاً إذا قام به وأريك موضع الأريكة الوسادة أو الفرش . ابن دريد، الاشتقاق، ج١، ص ٥١٦ .

(٩) ابن دريد، المصدر نفسه، ج١، ص ٥١٦ .

(١٠) جواد علي، ج٤، ص ٦٣٩ .

(١١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ١٣١ .

البجلي زوج ابنته أميمة إلى سيد قريش سعيد بن العاص [١]، وأيضاً زوج جرير ابنته إلى المغيرة بن شعبة[٢]. ويذكر الواقدي بأن قبيلة بجيلة اصطحبت معها في حرب القادسية أكثر من ألفي امرأة [٣]، وقد تزوجهن أكثر من ألف رجل من مختلف قبائل العرب[٤] .

## ٤.زواج الأسر:

عرف زواج الأسر لدى السرويين والنجرانيين، وذلك ناتج عن الحروب والغارات بعضهم على بعض وبخاصة في العصر الجاهلي، كان أسر النساء من العادات الشائعة عندهم، ويطلق على المرأة الأسيرة اسم النزيعة، وتعتبر ملكاً خاصاً لسيدها إن شاء تزوجها أو زوجها أو باعها[٥]. ويتضح ذلك عندما أغار الصمة بن بكر على زبيد وسبى أخت عمرو بن معديكرب، وتسمى ريحانه، ثم تزوجها فأنجبت له بنيه[٦]، ومن أهم العوامل التي دفعت بعض قبائل نجران وتهامة والسرة إلى الزواج بالأسر، هي كراهية الزواج من الأهل وذي القربى مخافة أن ينتج عن ذلك نسلاً ضعيف الجسم والعقل[٧]، بالإضافة إلى أنه زواج لا مهر له[٨] . ولم يكن زواج الأسر معناه إذلال للمرأة، ويتضح ذلك في قول الشاعر:

**ما زادها فينا السباء مذلة ... ولا كلفت خبراً ولا طبخت قدرا**
**ولكن خلطناها بخير نسائنا ... فجاءت بهم بيضاً وجوههم وزهرا[٩]**

## ب. الأسرة وتربية الأطفال :

تعد ولادة الطفل وبخاصة الذكر حدثاً سعيداً، ويحاط هذا الطفل بألوان كثيرة من التعاويذ ضد الجن [١٠]، بل تعتبر كثرة الأولاد هدفاً يسعى إليه الآباء، وكان مدعاة للفخر، مثل سعد العشيرة [١١]. وكان من الشائع تسمية الأبناء بإسم يقتبس من الأصنام،

---

(١) مصعب، الزبيري، ص ١٣١ .
(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٧ .
(٣) الواقدي، ج١، ص ١٩٢ .
(٤) الواقدي، ج١، ص ١٩٢، عمرو رضا كحالة، ج١، ص ٦٤ .
(٥) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٥١٠ .
(٦) ريحانة: هي ريحانة بنت معديكري بن زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج وهي أم دريد وعبدالله ابني الصمة الجشميين، وزوج رسول الله ﷺ ابنة محمية من الفضل بن العباس فولدت له أم كلثوم بنت الفضل، وتزوجها أبو موسى الأشعري. ومحمية بن جزء بن عبد يغوث بن عويج بن عمرو بن زبيد له صحبة ولاه رسول الله ﷺ الأخماس والغنائم يوم بدر، انظر: ابن حزم، ص٤١١، ٤١٢ .
(٧) علي إبراهيم حسن، ص ٥١٠ .
(٨) المرجع نفسه، ص ٥١٠ .
(٩) المرجع نفسه ، ص ٥١٠ .
(١٠) جاك . س . ريسلر : الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، ص ٥٢ .
(١١) سعد العشيرة : قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب في عشرة من أولاده الذكور فكأنهم منه في عشيرة، فصاروا مثلاً للرجل يستكثر من أولاده وعشيرته ويتفاخر بهم، جواد علي، ص ٦٢٠ .

مثل عبد يغوث[١]، أو عبد نهم [٢]، والمرأة هي الوسيلة الوحيدة لإنتاج الرجال الذين يزيدون قوة القبيلة في السلم والحرب، ولاسيما في هذا المجتمع القاسي الذي يمتهن سكانه الحرب والرعي[٣]، ونستدل على ذلك من تربية الرسول ﷺ لدى بني سعد بن بكر بن هوازن[٤]، وفي ذلك تروي مرضعته حليمة أنها خرجت ومعها زوجها في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء، وقد أرضعت سفيان بن الحارث أيضاً[٥]، ولما ردته إلى مكة أثنى عبد المطلب على حسن تربيته وقال : " جمال قريش وفصاحة سعد وحلاوة يثرب"[٦].

وكانت الأم ترعى صحة الطفل وتربيته، وترضعه سنتين وتقوم على تنشئته بحنان[٧]. وعندما يبلغ الطفل خمس سنوات أو ست يقام له حفل ختان[٨] الذي يمثل عيداً للأسرة، وتتبادل النساء في نجران وتهامة والسراة الهدايا من تمر أو فاكهة، وكان إذا أهدت المرأة هدية في ختان ردت الهدية في ختان أيضاً[٩] .

والحقيقة أن اختيار أشراف قريش وغيرهم نساء السروات لحضانة أو رعاية أبنائهم يعكس كفاءتهن في تربية الأولاد، حيث اهتم العرب باختيار المرضعات لما يكون للبن المرضعة من أثر في الرضيع، ولما يكون لها ولبيتها من أثر فيه[١٠]، وذكر جواد على أن العرب إذا أرادوا مدح إنسان والثناء عليه، ذكروا أن مرضعته وصفاء لبنها الذي رضعه فقالوا : " نعمت المرضعة مرضعته "، وإذا أرادوا ذم إنسان قالوا : " بئست المرضعة مرضعته " كناية على أنها هي التي أرضعته فخرج الرضيع على شاكلتها[١١] .

---

(١) ذكر أحد الباحثين أن هناك كثير من أبناء السراة سمي بعبد يغوث، ففي مذحج كان قائد بني الحرث بن كعب على تميم في معركة ( الكلاب ) عبد يغوث، كما كان لدريد بن الصمة أخ اسمه عبد يغوث، ومن مذحج أيضاً (عبد يغوث) ابن وقاص بن صلاءة الحارثي الذي قتلته ( تميم ) يوم الكلاب الثاني، انظر: جواد علي، ص ٢٦٢ .

(٢) ذكر ابن الكلبي : أن قبيلة مزينة كان لها صنماً يسمى نهم، وكانت تسمى عبد نهم وكان سادن نهم يسمى خزاعي بن عبد نهم من مزينة، انظر : ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ج١، ص ٣٧٠ .

(٣) صالح أحمد العلي، ج١، ص ١٦١ .

(٤) بنو سعد : هم بنو سعد بن بكر بن هوازن الذين أرضعوا النبي ﷺ وكان بنو سعد لا يروا مثلهم في برهم ووفائهم، وهم أرباء النبي ﷺ ومنها بنو سعد بن بكر في قيس عيلان، ومنهم بنو سعد في قضاعة . انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط دار صادر بيروت، ج٣، ص ٢١٧، ٢١٨ .

(٥) أحمد محمد الحوفي، ص ٣٩٤ .

(٦) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ٢١٧ .

(٧) جاك . س . ريسلر، المرجع السابق، ص ٥٣ .

(٨) المرجع نفسه، ص ٥٣ .

(٩) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص ٣٦٦، عصام الفقي، ص ٣٠٤.

(١٠) جواد علي، ج٤، ص ٦٤٤ .

(١١) المرجع نفسه .

## ج- الزينة :

كانت المرأة الحضرية أكثر تفنناً واعتناءً بنفسها من الأعرابية، بسبب اختلاف المحيط والوضع الاقتصادي، والعادة أن المرأة تضفر شعر رأسها ضفائر وغدائر، أما الرجال فيتخذون لهم ضفيرتين تتدليان على طرفي الوجه إلى المنكبين[١]. ومن أهم طرق الزينة في نجران وتهامة والسراة طريقة العقص، وهي أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها، فكل خصلة عقيصة، وقد عرف ضمام بن ثعلبة[٢]، بـ ( ذوي العقيصتين) وكان ذا غديرتين وكان خصل شعره عقيصتين[٣]. ومن أشهر نساء نجران والسراة في مجال تزيين النساء أم غيلان، وذكر الجمحي أنها كانت تزين العرائس[٤].

ولم تكن الزينة قاصرة على النساء فحسب، بل كان كثيراً من شيوخ نجران والسروات ووجهائها يتزينون أيضاً مثل جرير بن عبد الله البجلي الذي كان يخضب لحيته بزعفران قبل أن ينام ويغسلها إذا أصبح فتخرج مثل لون التبر[٥]، وذكر ابن حبيب أن جرير بن عبد الله كان يتعمم مخافة النساء على نفسه من فرط جماله[٦]، وكان عمر بن الخطاب يقول عن جرير "إنه يوسف هذه الأمة لحسنه"[٧].

## ٣- بعض العادات والتقاليد :

حافظ عرب نجران وتهامة والسراة على العادات القبلية زمناً طويلاً حتى بعد انتقالهم إلى الحياة الحضرية، فكانت العلاقة بين رجال القبيلة الواحدة أوثق من سكان المدن الحضرية. ويتضح أن عشائر السروات ونجران إذا شاركت في فتح مدينة أنشأت فيها أحياء لها[٨]، مثل دار دوس بالأندلس[٩]، وهي تجمع أبناء دوس جميعاً في حي أو مكان واحد، ومنهم بنو شاهر بن ذرعة، وبنو هارون بن ذرعة[١٠]، وهناك دار زبيد، والأزد، وخثعم وغيرها[١١]. وكان أيضاً لقبيلة بجيلة دار جامعة بالأندلس بجهة أريونة تضم جميع أبناء بجيلة[١٢].

---

(١) جواد علي، المرجع نفسه، ج٤، ص ٦٢٠ .
(٢) ضمام بن ثعلبة، هو من بني سعد بن بكر من السراة، جواد علي، ج٤، ص ٦٢١ .
(٣) انظر: المرجع نفسه .
(٤) انظر: الجمحي، طبقات الشعراء ، ص ٩٨ .
(٥) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ص ١٧١ .
(٦) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٣٢ .
(٧) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص ١٧١ .
(٨) ابن حزم، ص ٣٩٠ .
(٩) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٣٩٠ .
(١٠) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٣٩٠ .
(١١) ذكر ابن حزم أن من دار خثعم وإلي الأندلس عثمان بن أبي نسعة بن إياس بن الحارث بن مالك بن جشم بن أوس بن مصعب بن غنم بن القريح بن شهران بن عفرس بن حلف بن خثعم" . انظر: ابن حزم، ص ٣٩٢ .
(١٢) ابن حزم، ص ٣٩٢ .

ولم يغفل أبناء نجران وتهامة والسراة الذين أقاموا في البلاد المفتوحة من بناء أسوار بين أحيائهم وأحياء القبائل الأخرى حفاظاً على تقاليد العزلة والجمود التي نشأوا عليها في الجزيرة العربية[١] . مثل دار أبي أراكة بالكوفة[٢]، وأيضاً قبيلة بني دهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس لهم دار بالبصرة، وليس بالبصرة من بجيلة غيرهم [٣]، وهذا دليل على خضوعهم للحياة القبلية في المدن أيضاً، وقد حملوا هذه النزعة إلى كان كل مكان اتجهوا إليه في فارس والأندلس والعراق والشام ومصر وغيرها .

وأغلب الظن أن ذلك يرجع إلى طبيعة العلاقة بين أفراد القبيلة حيث كان أفراد القبيلة يعملون كجماعة واحدة، يرحلون سوياً ويقاتلون سوياً [٤]، وإذا ارتكب أحدهم جناية حملته قبيلته[٥]، وإذا غنم غنيمة فهي للقبيلة[٦]، ولم يكن أبناء السروات ونجران يؤمنون بشيء إلا بتقاليد قبيلتهم التي كانوا يعتزون ويفخرون بها، وهذا الشعور بالارتباط يحمي القبيلة وتحميه وهو المسمى بالعصبية القبلية[٧] .

أما الكرم، فإن الدارس لحياة قبائل نجران وتهامة والسراة يدرك أن شبح الفاقة كان يتهددهم، فجبال السروات قد تحجب سقوط الأمطار [٨]، فتجدب الأرض ويجف الضرع[٩]، وكانت هذه الحالة تدعو الغني المقتدر إلى أن يعين المحتاج، وفي ضوء هذا الاتجاه اندفع سادة السروات يدعون إلى الكرم مثل خالد بن عبد الله القسري الذي قال : "فإن الله لا يعدم فاعله جوازيه، ما ضعف الناس عن أدائه قوى الله على جزائه[١٠]،وقد عرف عن النجرانيين والسرويين عادتهم بإشعال النيران فوق رؤوس جبالهم ومضاربهم، حتى لا يضل الساري في بلادهم [١١]،ومن أمثال من اشتهر بهذه العادة شداد بن أسامة بن عمرو[١٢] ، الذي لقب بـ ( الهادي) ، لأنه كان يوقد النار ليلاً للسائرين، وداره مفتوحة للمحتاجين

---

(١) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، ص ١٦٢ .

(٢) أبو أراكة : هو أبو أراكة بن مالك بن عمرو بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يشكر بن علي بن مالك بن سعد بن نذير ابن قسر. انظر : ابن حزم، ص ٣٨٨ .

(٣) ابن حزم، ص ٣٨٨ .

(٤) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٥٠٣ .

(٥) ابن حزم، ص ٣٨٨ .

(٦) ذكر كارل بروكلمان أن جميع أفراد القبيلة متساوون ضمن إطار القبيلة في الحقوق والواجبات التي تنبثق عن العصبية الدموية فالبدوي ملزم بأن ينصر أخاه في الملمات، وليس له أن يتساءل أهو ظالم أم مظلوم " . انظر: كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ١٩٨٨م، ص ١٨ .

(٧) علي إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص ٥٠٣ .

(٨) عبد الرحمن صادق الشريف : جغرافية جنوب غرب المملكة، ج٢، ص ٦١ .

(٩) أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، الطبعة الثانية عشرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٣٩.

(١٠) هزاع بن عبد الله الشمري، مشاهير كرماء العرب، ص ٣ .

(١١) أحمد شلبي، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٠ .

(١٢) شداد بن أسامة بن عمرو : هو أبو عمرو بن عبد الله بن جابر بن بشر بن مالك بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الليثي حليف بني هاشم . ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ١٤١ .

والمسافرين[١] . ويعتبر إشعال النيران لدى العربي دعوة للضيف[٢]، وتدل على مدى حرصه على أن تجلب ناره الضيفان مهما كلفه ذلك من مال، لأن المال عندهم وسيلة لا غاية، وكان وسيلتهم إلى مساعدة المحتاج وما يتبع ذلك من كسب المحامد[٣] .كما كان إشعال النار في الظلام من عادة الكرماء في السروات ليراها الغريب والمحتاج، والجائع من مسافة بعيدة فيفد إليها[٤]، ويقدم له ما يحتاج من طعام، ويقال لها نار الضيافة[٥] .

وتروى كتب الأدب صوراً متنوعة من كرم أبناء نجران والسراة مثل عمرو بن معدي كرب، فيذكر الأصفهاني أن صديقه عيينة بن حصن نزل عليه زائراً في محلة زبيد بعد بناء الكوفة[٦]، وعمد عمرو إلى الكبش فذبحه وألقاه في قدر وطبخه، حتى إذا نضج جاء بجفنة عظيمة، فثرد فيها، وأكفأ القدر عليها فأكلاه[٧]، فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو : " لئن انصرف أبو مالك بغير عطاء إنها لوصمة عار" ثم أمر بناقة عظيمة له، وبأربعة آلاف درهم، فرفض عيينة المال وأخذ الناقة وانصرف[٨]، وهو ينشد في كرمه قائلاً :

**جُزيت أبا ثور جزاء كرامة ... فنعم الفتى المزوار والمتضيفُ**
**قَرَيْتَ فأكرمت القرى وأفدتنا ... تحية علم لم تكن قط تُعْرفُ**
**وقلت حلال أن تدير مدامة ... كلون انعقاق البرق والليل مسدف[٩]**

والكرم طبيعة متأصلة عند عشائر نجران وتهامة والسراة، وليس جود الرجل منهم من باب أداء الواجب أو طاعة القانون، وإنما لأن الجود يشبع في نفسه رغبة ويدخل عليها مسرة، وليس أدل على ذلك من قصة أبي خراش التي تبلغ حد الأسطورة ،مع أنه أحد الفقراء والصعاليك من بني هذيل، وقد كان حرصه على إكرام ضيوفه اليمنيين سبباً في هلاكه، حينما أخذ يهيئ لهم الطعام والذبيحة ثم رجاهم أن يحضروا ماءً من مكان قريب، فأبوا إلا أن يحضره هو[١٠]، فنزل على إرادتهم وأحضر الماء، ولكن أثناء عودته لدغته حية فتحامل على نفسه وأكمل رحلته بالماء إليهم [١١]، وازداد تحاملاً حتى قدم لهم الطعام دون أن يخبرهم بما جرى له حتى لا يفسد عليهم

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١١، ص ١٤١ .
(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص ١٤١ .
(٤) جواد علي، ج٥، ص ٥٨٢ .
(٥) نار الضيافة، هي نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة، لتكون أظهر. انظر: جواد علي، ج٥، ص ٥٨٢
(٦) الأصفهاني، الأغاني، دار صعب، بيروت، ط١٤، ص ٢٦ .
(٧) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٦ .
(٨) النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية، ص ٢٠٣ .
(٩) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٢٨ .
(١٠) عبد الحليم حفني، شعراء الصعاليك، ص ٤٨ .
(١١) عبد الحليم حفني، المرجع نفسه، ص ٤٨ .

شهيتهم للطعام، وبات وهو يعاني سكرات الموت دون أن يعرفوا بأمر اللدغة، وعند الصباح كان يحتضر، ثم مات وشيعوا جنازته[١]. وقد عقب عمر بن الخطاب بعد ذلك على قصة أبي خراش وأضيافه اليمنيين بأنه لولا أن تذهب سنة لأمر ألا يستضاف يمني بعد تلك الحادثة[٢]. وهذه القصة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الكرم كان طبيعة متأصلة لدى أبناء السروات ونجران، وأن الجود لا يرتبط بالفقر أو الغنى، بل إن الجود هو قانون الحياة في مجتمعهم.

ويعد الماء الشراب الأساسي على المائدة بجوار الطعام، وتنوعت مصادر مياه الشرب في نجران والسروات بكثرة مياهها الجوفية والسطحية[٣]، ويمكن الحصول على هذا النوع من المياه على مدار السنة[٤]، وينقل الماء ويخزن من مصادره إلى دور السرويين والنجرانيين بواسطة قرب مصنوعة من الجلد[٥]، وهذا النوع من الأوعية يصنع محلياً من جلود بعض الحيوانات[٦].

والعسل من الأطعمة والأشربة الأساسية في نجران وتهامة والسراة، وينتشر في كثير من قراها وحواضرها[٧]، ويشير الأزرقي إلى أن العسل متنوع الأصناف في بلاد دوس وأجزاء من السروات[٨]، ويرجع ذلك إلى عوامل متنوعة منها أن الأمطار تختلف في كميتها من مكان إلى آخر[٩]، إلى جانب اختلاف مناخ هذه البلاد[١٠]، الأمر الذي يؤدي إلى تنوع الزراعة مما يجعل العسل فيها يتميز بالتنوع والجودة، كالعسل الناصع البياض بلون السكر النقي ويسمى مجرى، وهو طيب النكهة والمنظر[١١]، وعسل آخر لونه أحمر يسمى الشوكة[١٢]، نظراً لأنه يتغذى على النبات الشائك[١٣]، وليس أدل على جودة العسل

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٣) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٩٤.

(٤) جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٣٩.

(٥) جواد علي، ج٧، ص ٥٨٧.

(٦) السيد عبد العزيز سالم، ص ٩٢.

(٧) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٢٨٧.

(٨) الازرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٣.

(٩) ذكر جودة حسنين أنه حينما تسقط الأمطار الصيفية بكميات مناسبة في بلاد السراة تجود المحاصيل الصيفية، وفي المناطق التي تحظى بأمطار شتوية كافية يزرع الشعير والفواكه، كما أن الشح في المطر في بعض المناطق قد تتركز الزراعة في الواحات حيث يمكن الحصول على الماء من الينابيع المتدفقة أو من الآبار، جودة حسين جودة، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٨.

(١٠) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص٦١، جودة حسنين، المرجع السابق، ص٥٥.

(١١) المرجع نفسه، ص٢٨٧.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٢٨٧

(١٣) النبات الشائك: وهو ذو الشوك وهو كل نبات به شوك وأرض مشوكة فيها السحاء والقتاد والهراس، والسحاء نبات شائك وله زهرة حمراء في بياض تسمى البهرمة يرعاه النحل، وينبت في نجد ونجران وتهامة". جواد علي: المرجع السابق، ج٧، ٣٥.

في السروات من أنه كان موضع تهافت الخلفاء والناس [١] .

أما الخمور فكانت منتشرة في نجران والسراة ويختص بصناعتها أهل الذمة وخاصة نصارى نجران، ويرجع ذلك إلى مهارتهم في صناعة الخمر القائمة على الكحول الذي يستخرج من التمور[٢]، المنتشرة في مناطق عديدة من بلاد نجران وتهامة والسراة[٣]، ولم ينفرد النصارى بعصر الخمور وبيعها بل سبقهم إلى الاتجار بها اليهود في الجاهلية[٤]، وكان أبناء السروات ونجران يصنعون الخمر من الكروم المزروعة في نواح عديدة مثل: بلدة نجران ، وجرش، ورنية، وتربة، وسروات الحجر وغامد ودوس وغيرها، وهذه السلعة كانت تباع في معظم أسواق نجران والسراة مثل: عكاظ، وذو المجنة،[٥]، والجريب وغيرها [٦]، وشرب الخمر من العادات السائدة عند التهاميين والنجرانيين والسرويين قبل الإسلام وعند ظهوره في الحجاز . مع أن موقف الإسلام من الخمر هو التحريم في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ ﴾[٧]، وقد اعتبر الفقهاء جميع أنواع المشروبات المسكرة تدخل في نطاق التحريم بالقياس[٨]، حتى ولو لم تكن خمراً [٩]، ومع ذلك استمرت عادة شرب الخمر لدى بعض السرويين ولاسيما أهل الذمة والمجوس والوثنيين في بيشة والطائف ونجران وغيرها من بلدان السروات الأخرى [١٠].

وكان تعاطي الخمر منتشراً بين الأعيان والوجهاء قبل الإسلام حيث كانوا يشربونه في كاسات[١١]، بينما كانت الطبقات الدنيا تشربه في أدوات رخيصة، وذكر الأصفهاني أن العبيد كانوا يجالسون سادتهم ويشربون معهم الخمر في بلاد

---

(١) يروي ابن قتيبة أن أحد الخلفاء كتب إلى عامله بالطائف " أن يرسل له من عسل الندغ والسحاء من بني شبابة "انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص ٢٠٥، وذكر القلقشندي أن بني شبابة هي بطن من نهد القحطانية، وهم: بنو شبابة بن نهد، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (ص١٩٨٠م)، ص ٣٠٢ .

(٢) جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية، ص ١٠٣ .

(٣) من أمثلة هذه المناطق نجران، وتربة، وبيشة، ورنية، وجرش، وترج ونواحٍ أخرى من بلاد نجران وتهامة، حسين بن علي، المرجع السابق، ص١١٧ .

(٤) حبيب زيات، الديارات النصرانية في الإسلام، ص٣٤ .

(٥) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٢ .

(٧) سورة المائدة، آية ٩٠ .

(٨) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٧٩ .

(٩) كارل بروكلمان، المرجع نفسه، ص ٧٩ .

(١٠) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص١٦ .

(١١) يروي صاحب فتوح اليمن أن أحد المسلمين سار إلى بلاد خثعم فوجد خادماً وعليه ثياب من الحرير الأملس وحوله عبيد وغلمان، وأحد وجهاء خثعم يجلس في مجلسه وبين يده كاسات الخمور تدار على أصحابه، . مؤلف مجهول، ص ١٦.

السروات [١] . ويعتبر الخمر هو الشراب الأساسي في دور الضيافة عند أهل نجران وتهامة والسراة وكان رمزاً لإكرام الضيوف [٢]، وقد تغنى الشعراء بمجالس الخمور وجودتها مثل أبي ذؤيب الهذلي[٣] . والتفاخر هو التعاظم ويعد من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية لدى قبائل السراة ونجران وتكون المفاخرة بالآباء والأجداد وبالسيادة وبالكثرة وبالحسب والنسب[٤]، والكتب التاريخية تحوي كثيراً من المفاخرة ومنها منافرة[٥]، جرير بن عبد الله البجلي، وخالد بن أرطأة الكلبي[٦]، وتقع المفاخرات بحضور محكمين، وعلى الطرفين قبول الحكم وإطاعته [٧]، وتكون المفاخرة بإظهار كل طرف ما عنده من خصال يفاخر بها، ثم يذكر ما امتاز به على خصمه بكلام منثور. أي ليس شعراً. منظم منسق منمق[٨]، ثم ينظر المحكمون في الحجج التي استمعوا إليها ليبدوا حكمهم بموجبها. وهذا ما حدث في منافرة جرير بن عبد الله البجلي وخالد بن أرطأة، فقد تنافرا إلى الأقرع بن حابس عالم العرب في زمانه[٩]، فقال الأقرع: ما عندك يا خالد؟ فقال : "نترك البراح ونطعن بالرماح ونحن فتيان الصباح[١٠]، فقال: ماعندك يا جرير؟ فقال: " نحن أهل الذهب الأصفر والأحمر والمعتصر نخيف ولا نخاف نطعم ولانستطعم، ونحن حي لقاح نطعم ما هبت الرياح، ونضمن الدهر، ونصوم الشهر، ونحن الملوك القسر[١١]، " فقال الأقرع بن حابس:" واللات والعزى لو نافرت قيصر ملك الروم، وكسرى عظيم الفرس، والنعمان ملك العرب لنفرت عليهم "[١٢].

---

(١) يروي الأصفهاني أنه جاءت بنو مازن إلى عمرو بن معديكري فقالوا أن أخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران، وكان عبد الله بن معديكرب أخو عمرو في مجلس شرب مع بني مازن فتغنى عنده حبشي من عبيد بني مازن وكان يتشبب بامرأة من بني زبيد فلطمه عبد الله وقال له أما كفاك أن تشرب معنا حتى تتشبب بالنساء فنادى الحبشي ياآل بني مازن فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٣٣، ٣٤ .

(٢) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ٤٢ .

(٣) قال أبو ذؤيب الهذلي :

سلافة راح ضمنتها إداوة ... مقيرة ردف لمؤخرة الرحل
تزودها من أهل بصرى وغزة ... على جسرة مرفوعة الذيل والكفل
فوافى بها عسفان ثم أتى بها ... مجنة تصفو في القلال ولا تغلي

انظر : ياقوات، معجم، ج٥، ص ٥٩ .

(٤) جواد علي، ج٥، ص ٥٨٩ .

(٥) المنافرة : المحاكمة من النفر لأن العرب كانوا إذا تنازع رجلان منهم وادعى كل واحد أنه أعز من صاحبه تحاكما إلى عالم فمن فضل منهم قدم نفره عليه أي فضل نفره على نفره . الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠١ .

(٦) الألوسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١ .

(٧) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٩٠ .

(٨) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ٥٩٠ .

(٩) الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد علي قاسم، بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٢.

(١٠) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠١ .

(١١) الألوسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١ .

(١٢) الألوسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١ .

لاشك أن رأي الأقرع بن حابس يعكس مدى ولع سادات السروات بالفخر ويؤكد أن الفخر كان له المكانة الكبيرة في الحياة الاجتماعية عندهم، ولم تكن المفاخرة قاصرة على أشرافهم بل كانت عامة، ولا سيما في بني عبد المدان في نجران، الذين بارك الله لهم بسعة الصدر، وطول الأجسام، فكانوا يفخرون بذلك على غيرهم [١]، ويشير الجبوري إلى أن حسان بن ثابت سفههم بشعره حين قال:

**لا بأس بالقوم من طول ومن عظم أجسام البغال وأحلام العصافير** [٢]

فجاءوا إليه وقال له : يا ابن الفريعة كنا نفتخر على الناس بالعظم والطول فأفسدته علينا، فقال سأصلح لكم ما أفسدته فقال فيهم :

**وقد كنا نقول إذا رأينا لذي جسم يعد وذي بيان**
**كأنك أيها المعطي بيانا وجسماً من بني عبد المدان** [٣]

فعادوا إلى الافتخار بذلك، ولعل من أهم مفاخر قبائل نجران وتهامة والسراة هو فك الأسير، وهو يدل على الشهامة وكرم النفس . ويشير الأصفهاني إلى أن رجلاً من ثمالة[٤]، أقام في جوار دريد بن الصمة[٥]، ثم أغار أحد صعاليك خثعم وهو أنس بن مدرك الخثعمي[٦]، على بني جشم، فأصاب مال الثمالى، وبعض الناس من ثمالة كانوا جيراناً لدريد، وقد أبطأ في أمر الثمالى فسمع منه ما يكره[٧]، ثم أشار القوم على دريد

---

(١) يحيى الجبوري، الإسلام والشعر، ص ٢٣ .

(٢) يحيى الجبوري ، المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

(٣) يحيى الجبوري ، المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

(٤) ثمالة : هو عوف بن أسلم بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، فولد ثمالة : عوف وسلمة وعثمان وعمرو، وإلى ثمالة ينتمي المبرد النحوي البصري محمد بن يزيد عبد الأكبر عمير بن حسان بن مسلم بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن مسلم . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧٧.

(٥) دريد بن الصمة : هو فارس شجاع شاعر فحل، جعله محمد بن سلام أول الشعراء الفرسان، وقد كان أطول الشعراء الفرسان غزوا وأبعدهم أثراً وأكثرهم ظفراً، وكان سيد قومه وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مائة غزوة ولم ينهزم في واحدة منها، أدرك الإسلام، فلم يسلم، وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً للمشركين، ولا فائدة منه في الحرب لكبر سنه، وإنما أخرجوه تيمناً وليقتبسوا من رأيه . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٢ .

(٦) أنس بن مدرك الخثعمي: هو أنس بن مدرك بن عمر بن تيم الله بن مبشر بن ربيعة بن عفرس. انظر: ابن حزم، ص ٣٩١، وذكر عبده بدوي أن أنس بن مدرك هو الذي قتل السليك بن سلكة وحين طولب بديته قال قصيدة منها:

**إني وعقلي سليكاً بعد مقتله كالثور يضرب لما عافت البقر**

عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص ٥٣ .

(٧) وأنشد الثمالي قائلاً :

**كساك دريد الدهر ثوب خزاية وجدعك الحامي حقيقة أنس**
**دع الخيل والسمر الطوال لخثعم فما أنت والرمح الطويل وما الفرس**
**وما أنت والغزو المتابع للعدا وهمك سوق العود والدلو والمرس**
**فلو كان عبد الله حياً لردها وما أصبحت إبلي بنجران تحبس**

بأن يذهب إلى بني عبد المدان لأن من أخلاقهم فك الأسرى[١]، وسرعان ما رحل دريد إلى يزيد بعد أن قال فيه :

بني الديان ردوا مال جاري ... وأسرى في كبولهم الثقال
ورد السبي إن شئتم بمن ... وإن شئتم مناداة بحال
فأنتم أهل عائذة وفضل ... وأيد في مواهبكم طوال[٢]

فلما بلغ يزيد شعره فك الأسرى، ومما مدح به دريد بن الصمة يزيد:

ورد النساء بأطهارها ... ولو كان غير يزيد فضح[٣]

وأشار سعيد الأفغاني أن قيس بن عاصم أغار على بني مرة بن عوف بن ذبيان، فأسر أحد رجلين من هوازن فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة فلم يغيثوه[٤]، وركب الهوازني إلى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج يستغيث بهم وأنشد في ذلك شعراً[٥]، ثم اتجه إلى بعض شيوخ مذحج، مثل قيس بن مكشوح المرادي، فقص عليه قصته فقال قيس له: اشتر أخاك منه وعلي الثمن، ولا يمنعك غلاؤه[٦]، ثم أتى عمرو بن معديكرب فقال له مثل ذلك[٧]، وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له سوف أبعث إلى قيس بن عاصم فإن وهب

---

ولأصبحت عرسي بأشقى معيشة ... وشيخ كبير من ثمالة تعس
وكنت وعبد الله حي ما رأى ... أبالي من الأعداء من قام أو جلس
فأصبحت مهضوماً حزيناً لفقده ... وهل من نكير بعد حولين تلتمس

الأصفهاني، الأغاني، ج ٩، ص ١٧ .

(١) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٩، ص١٧ . لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص ٧٧٥ .
(٢) الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص١٧ .
(٣) علي الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٥٧ .
(٤) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٠٧
(٥) ومن الشعر العربي أنشد :

دعوت سناناً وأبي عوف وحارثاً ... وعاليت دعوى بالحصين وهاشم
أعيذهم في كل يوم وليلة ... بترك أسير عند قيس بن عاصم

فسمع صوت من الوادي ينادي بهذه الأبيات :

عليك بذي الحي من مذحج ... فإنهم للرضى والغضب
فيا يزيد بن عبد المدان ... وياقيساً وعمرو بن معديكرب
يفكوا أخاك بأموالهم ... وأقلل بمثلهم في العرب
حليفهم الأدنى وجار بيوتهم ... ومن كان عما سرهم غير نائم
فياليت شعري من لإطلاق عمه ... ومن ذا الذي يحظى في المواسم

انظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٠٧ .

(٦) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٨
(٧) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٨ .

لي أخاك شكرته، وإلا أغرت عليه حتى يدفع إلي أخيك، وإلا دفعت إليك كل أسير من قبيلة قيس بن عاصم عندنا بنجران فاشتريت به أخاك، فرضي أخو الأسير بما عرضه عليه يزيد بن عبد المدان[١] . ولاشك أن أخلاق سادات السروات كانت تجعلهم قبلة يأوي إليها الضعفاء ويستغيث بهم أولوا الحاجة فيقضون حاجتهم مهما كانت الكلفة أو العقبات . وسرعان ما أرسل يزيد بن عبد المدان به إلى قيس بن عاصم رسولاً يدعوه إلى فك الأسير[٢] . وعندما بلغ قيس رسول يزيد جمع وجوه تميم وطلب منهم أن يغتنموا الفرصة، ويطلقوا سراحه، ولكنهم أبوا إلا المغالاة في فدائه واعتذر إلى يزيد قائلاً : " إن الأسير بيد رجل من سعد وقد اشتطوا في ثمنه"[٣]، فأرسل يزيد إلى السعدي وقال: احتكم، فقال مائة ناقة ورعاؤها معها، فوبخه يزيد على قلة طلبه، لأنه لو طلب ماله كله لأعطاه له[٤]. وفي هذا دلالة على أنه لو طلب أموال بني الحارث كلها في سبيل فك أسر هذا الرجل لدفعها .

ومن أهم مفاخر قبائل نجران وتهامة والسراة التفاخر بمن برز عندهم في عمل فذ، أو قام بفعل استحق الإعجاب، وكانت تتفاخر بذكر أسماء هؤلاء وتحفظ أسماءهم للتباهي بهم [٥]، ويشير ابن عبد ربه إلى أنه حينما سأل عمر بن الخطاب : من هو فارس العرب ؟ قالوا : عمرو بن معديكربٍ، ثم قال عمر: فأي سيوف العرب أقطع ؟ قالوا : الصمصامة[٦]، قال عمر: كفى بهذا فخراً لليمن[٧]، وكانت الصمصامة موضع شعر الشعراء[٨] .

---

(١) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٨.

(٢) ذكر الأفغاني أن يزيد بعث إلى قيس بن عاصم أبيات شعر قال فيها :

فيا قيس أرسل أسيراً من بني جشم ... أني بكل الذي تأتي به حازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بغضته ... فاختر لنفسك إحمادي وإعزازي
فافكك أخا منقر عنه وقل حسنا ... فيما سئلت وعقبه بإنجاز

انظر : سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٩ .

(٣) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٩ .

(٤) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٩ .

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٩٢ .

(٦) الصمصامة : هي سيف صارم لا ينثني، وفي حديث أبي ذر لو وضعتم الصمصامة على رقبتي وهي السيف القاطع، والجمع صماصم وفي رواية أخرى : أردوا بالصماصم أي جعلوها لهم بمنزلة الأردية لحملهم لها وحمل حمائلها على عواتقهم، والصمصامة اسم السيف القاطع، وقال الجوهري الصمصام والصمصامة السيف الصارم، ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص ٣٤٧.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ١٢٢ .

(٨) ذكر ابن عبد ربه أنه لما أهدي الصمصامة إلى موسى الهادي الذي قال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه فأنشد أحدهم :

حاز الصمصامة عمرو ... من جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا ... خير ما أغمدت عليه الجفون
اخضر المتن بين يديه نور ... من فرند تمتد فيه العيون
أوقدت فوقه الصواعق نارا ... ثم سالت به الزعاف القيون

وبالرغم من أن تلبية نجران وتهامة والسراة في الحج كانت مختلفة [١]، نظراً لاختلاف أصنامهم، إلا أنهم كانوا يشتركون جميعاً في شيء واحد هو الفخر بالآباء في الحج[٢]، وكانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم فيقول بعضهم لبعض : كان أبي يطعم الطعام ويقول بعضهم : كان أبي يضرب بالسيف فيخطب خطيبهم ويحدث محدثهم في هذا الشأن[٣]، وطالما كانت هذه المفاخرات مدعاة إلى وقوع حروب وسفك دماء، لذلك أبطلها الإسلام ونهى عنها[٤]، قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [٥]، أما البغاء[٦]، فقد كان موجوداً في بلاد نجران السروات، وإن كنا لا نعلم مدى انتشاره، ولكن الثابت أن ممارسة البغاء كانت لا تمثل قيمة واحدة في المجتمع، فإذا مارسته الحرة فهو عار، وتقوم قيامة القبيلة من أجل دفن عارها، وإذا مارسته الأمة فهو أمر لا يثير شيئاً[٧]. وهذه القيمة ليست قاصرة على المجتمع بل إن هذه القيمة كانت متغلغلة وراسخة في أعماق المرأة[٨].

وليس أدل على ذلك من موقف المرأة السروية التي تنسب إلى قبيلة غامد [٩]، وهي

---

فإذا ما سللته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين

انظر: ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج١، ص١٢٣ وذكر ابن منظور إن عمرو بن معديكرب قال حين وهبه لسعيد بن العاص :

خليل لم أخنه ولم يخني على الصمصامة السيف اللاّم
خليل لم أهبه من قلاه ولكن المواهب في الكرام
حبوت به كريما من قريش فسر به وصين عن اللئام

انظر : ابن منظور، المصدر السابق، ج١٢، ص ٣٤٧ .

(١) استعرض ابن حبيب مظاهر هذا الاختلاف حين ذكر : " كانت تلبية من نسك ذا الخلصة لبيك اللهم لبيك، بما هو أحب إليك " وتلبية عك " أنهم كانوا إذا بلغوا مكة يبعثون غلامين أسودين أمامهم يسيران على جمل مملوكين قد جردا من ثيابهما فهما عريانان فلا يزيدان على أن يقولا نحن غرابا عك، وإذا نادى الغلامان بذلك صاح من خلفهم من عك، عك إليك عاينة عبادك اليمانية، كما نجح الثانية على الشدائد الناحية " وكانت تلبية يغوث من قبيلة مذحج بنجران : " لبيك اللهم لبيك لبيك أجيبنا بما لديك فنحن عبادك قد صرنا إليك " . ابن حبيب، المحبر، ص ٣٠٩ ـ ٣١٥ .

(٢) جواد علي، المرجع السابق ،ج١، ص ٣٧٤ .

(٣) جواد علي، المرجع نفسه ،ج٥، ص ٣٨٩ .

(٤) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ٣٨٩ .

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٠٠ )

(٦) البغاء : هو الفجور والجمع البغايا، والزنا هو الفجور، وهو إثم كبير عند العرب، فلا تقربه الحرة، أما الرجال، فلا يرونه عيباً، بل قد يتبجح بعضهم به، لأنه من أمارات الرجولة، وقد كانوا يذهبون إليهن ويتصلون بهن في مقابل أجر وكن من الإماء " جواد علي، ج٥، ص ١٣٣ .

(٧) صالح أحمد العلي، ج١، ص ١٦١ .

(٨) ذكر جواد علي أنه لما نزلت الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ ﴾، وعندما فرغ رسول الله من بيعة الرجال بمكة، واجتمع إليه نساء من قريش فيهن ( هند بنت عتبة ) وأخذ يبايعهن الرسول فلما وصل إلى قوله تعالى [ ولا يزنين ] فقالت يا رسول الله وهل تزني الحرة . جواد علي، ج٥، ص ١٣٤ .

(٩) غامد: هو عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد. ابن حزم، ص٣٧٧.

التي أتت الرسول ﷺ تطلب منه أن يقيم عليها الحد لأنها أصابت الزنا[١]، فأرجعها مرة تلو المرة، ثم أتته في الغد فاعترفت بالزنا وأقسمت بالله أنها حُبلى، فقال لها : ارجعي حتى تلدي، فلما ولدت جاءت بالطفل تحمله، فقالت يا نبي الله ولدته، فقال لها اذهبي فأرضعيه حتى تفطمينه[٢]، فلما فطمته جاءت إلى النبي فرجمها، وقال " والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له فصلى عليها"[٣] وقد ذكر القرآن الزنا وشدد في تحريمه[٤] .

لاشك أن موقف المرأة الغامدية يوضح مبلغ تقدير المرأة السروية لشرفها، كما يعكس مدى ارتباط نساء أهل السراة بالدين، فضلا عن صدقها مع نفسها، بينما وجدت بعض عشائر السروات صعوبة في تقبل حكم الإسلام في تحريم الزنا [٥]، ويتضح ذلك عندما طلبت قبيلة هوازن من الإمام علي بن أبي طالب الأمان على تحليل الزنا، فامتنع [٦] .

ووجد في بعض قبائل نجران و السراة، فعلى سبيل المثال ذكر سعيد الأفغاني أن رجلاً يدعى جارية بن سليط، وكان من أحسن الناس وجهاً، فأبصرته امرأة من خثعم في سوق عكاظ [٧]، فأعجبها وتلطفت له حتى وقع عليها فلما فرغ قالت "إنك قد أتيتني على طهر، وإني لا أدري لعلي سأعلق لك ولداً، فموعدك فصال ولدي إن حملت لك[٨]، فسمى لها اسمه، وبعد ثلاث سنين أقبلت مع أمها وخالتها حتى رأته بعكاظ فعرفته، فقالت لأمها : هذا جارية فقالت أمها : " بمثل جارية فلتزن الزانية سراً وعلانية"[٩]. ووجد الرجل أن المرأة قد ولدت غلاماً وفطمته، ثم دفعن إليه الغلام فسماه عوفاً، فشرف وساد قومه وهو عوف الأصم[١٠]، وقد ورد في الحديث الشريف " الولد للفراش وللعاهر الحجر"[١١].

أما وأد البنات [١٢]، فهو دفن البنات وهن أحياء، وتعتبر هذه العادة من أشد وأشنع

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٤٦٢ .
(٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٤٦٢
(٣) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٤٦٢ .
(٤) قال الله تعالى [ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] سورة النور . آية (٢) .
(٥) وقال الله تعالى في تحريم الزنا [ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ] سورة الإسراء، الآية (٣٢) .
(٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص١٣٩ .
(٧) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٣٢٣ .
(٨) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٣٢٣ .
(٩) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٢٣ .
(١٠) سعيد الأفغاني، ص ٣٢٣ .
(١١) جواد علي، ج٥، ص١٣٧ .
(١٢) وأد البنات : يقال وأد البنات أي دفن البنت حية، والموءودة اسم كان يقع على من كانت العرب تدفنها حية من بناتها وهو وائد وهي وئيدة، انظر: الألوسي، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٢ .

العادات الاجتماعية في بلاد نجران والسراة، وهي أن يعمد الرجل إلى وليدته، وقد بدأت تستقبل الحياة فيلقي بها في حفرة[١]، ثم يهيل عليها التراب، ويدعها في غمرة الموت بين طيات الأرض[٢]، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ﴾[٣]. وقد تنوعت دواعي الوأد عند العرب فمنهم من كان يئد البنات بسبب الغيرة ومخافة أن يلحقهم عار من وجودها، أو مرض أو قبح كأن تكون شيماء أو برشاء أو كسحاء[٤]، وهي من الصفات التي كان يتشاءم منها العرب، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر[٥].

وكان الوأد مستعملاً في بعض قبائل العرب[٦]، إلا أنه لم يكن مستعملاً في كل قبائل نجران وتهامة والسراة، وإنما هناك بعض القبائل التي كانت تمارس هذه العادة مثل هذيل، وكنانة[٧]، وعشائر أخرى لم تمارسه مثل عك[٨] وبطونها، فكانوا لا يئدون بناتهم وعشائر أخرى من نجران وتهامة وبلاد اليمن[٩].

ورأى بعض شيوخ نجران والسراة بشاعة الوأد فنهضوا إلى محاربته والتخفيف من آثاره، وبذل بعضهم المال والمساعي الحميدة لمحاربة هذه العادة، مثل زيد بن عمرو بن نفيل الخثعمي[١٠]، فكان يشتري البنات ويفديهن من القتل[١١]، ويرجع ذلك إلى حسن تقديرهم للمرأة السروية، التي كانت تتبوأ مركزا اجتماعياً ممتازا وتمتعت بكثير من الميزات الاجتماعية التي أدت إلى رقي مستواها، ونذكر على سبيل المثال فاطمة بنت الخرشب الأنمارية فكان بيدها أمر طلاقها، وكذلك أم خارجة[١٢]، وهذه ميزة لا تحصل عليها المرأة إلا إذا بلغت من الشرف والمكانة في قومها شأناً عظيماً.

---

(١) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٢ .

(٢) غوستاف لوبون، مرجع سابق، ٤٠٣ .

(٣) سورة النحل : الآيتان ( ٥٨، ٥٩ ) .

(٤) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٣، جواد علي، ج٥، ص ٨٨ .

(٥) الألوسي : المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٤، جواد علي : المرجع نفسه، ج٥، ص ٨٨ .

(٦) محمود شكري الألوسي، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٢ .

(٧) كنانة : قريش من كنانة، وبنو ملكان بن كنانة، وبنو عبد مناة بن كنانة وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن ملكان بن كنانة، ابن حزم، مصدر سابق، ص ٤٦٥ .

(٨) عك : بطن اختلف في نسبه، فقال بعضهم بنو عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن كهلان من القحطانية، وذهب آخرون إلى أنهم من العدنانية، وعك أصغر من معد بن عدنان أبو العدنانية، وقال آخرون أنه عك بن الديث، وكانت مواطنهم في نواحي زبيد ومن أراضيهم الأعلاب تقع بين مكة والساحل وينسب إلى هذا البطن مخلاف عك، انظر: عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج٢، ص ٨٠٢.

(٩) ابن حبيب، المحبر، ص ١٧٩ .

(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٣٦، ٦٣٧، وذكر الألوسي أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يحيي الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها " الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٥ .

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٣٧ .

(١٢) أم خارجة : هي عمرة بنت سعد بن زيد بن الغوث بن أنمار التي يقال فيها " أسرع من نكاح أم خارجة، ابن حزم، ص ٣٨٩ .

ومن العوامل التي حملت بعض قبائل نجران والسراة مثل هذيل وغيرها[١]، على وأد البنات الفقر، نظراً لأن جبال البحر الأحمر تمنع سقوط الأمطار داخل بلاد السروات[٢]، وكان من نتيجة ذلك انتشار المجاعات، التي كانت تصيب بعض البلاد التهامية والسروية، ونجد صدق ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : [ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ] [٣] .

أما الشجاعة فهي صفة وضرورة عند أهل نجران والسروات، لأن الحياة في بلادهم لا تستقيم بدون شجاعة نظراً لطبيعة أرضهم وقساوتها [٤]، فلم يكن هناك وحدة جامعة لقبائلهم، بل هي أحلاف[٥] متفرقة تغزو وتتقاتل من أجل الغلبة والسيطرة[٦]. والبدو إذا انغمسوا في الرفاهية خرجوا إلى ميدان الحياة ضعافاً مجردين من أسلحة الكفاح لمواجهة الصعاب [٧]، ولهذا تأصلت الشجاعة في نفس السروي منذ نشأته الأولى في الجاهلية، وزادت مع الأيام قوة وبسالة، ولاسيما أنه بطبيعته يأبى الذل والهوان، وأن الشجاعة هي موضع الفخر والتقدير، بل من حديث القبائل وطموحاتها الرئيسية[٨] .

ويعلل ابن خلدون شجاعة أهل البادية عن أهل المدن بقوله : " إن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى الحاكم الذي يسوسهم [٩]، بينما أهل البدو يحملون السلاح، ويدافعون عن أنفسهم متى استنفرهم صارخ"[١٠] وليس أدل على صدق ما ذكره ابن خلدون من أنه عقب هزيمة المشركين في غزوة بدر ( سنة ٣هـ/ ٦٢٤م) [١١]، اتجهت قريش إلى قبائل جنوبي مكة المكرمة مثل الأحابيش وكنانة ونجران وتهامة [١٢]، يطلبون منهم تطبيق اتفاقية التحالف المعقودة عند الكعبة[١٣] .

---

(١) هذيل : من بني مدركة، وبنو مخزوم بن صاهلة بن محارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة، وبنو قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل، انظر، ابن حزم، ص٤٤٦

(٢) عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٦١ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ( ٣١ ) .

(٤) جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة، ص ٣٩ .

(٥) الحلف : هو المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، وتحالفوا بمعنى تعاهدوا وعقدوا اتفاقاً وعهداً، وتآخوا على العمل يداً واحدة وقد حالف الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار . انظر: جواد علي، ج٤، ص ٣٧٠ .

(٦) جواد علي، المرجع نفسه، ج٤، ص ٣٢٧ .

(٧) عز الدين فرج، تقاليد العرب، ص٤ .

(٨) عز الدين فرج، المرجع نفسه، ص ١٠ .

(٩) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٣١٨، ٣١٩ .

(١٠) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣١٨ .

(١١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٢٤ .

(١٢) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٠.

(١٣) يروى أن قسم قريش والأحابيش عند الركن يوم تحالفوا وتعاقدوا، حلفوا ( بالله وحرمة البيت والمقام والركن والشهر الحرام على التعاقد و التساعد على من عاداهم من الناس ما طلعت شمس من مشرقها إلى يوم القيامة، جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص٣٨١ .

والحقيقة لولا شجاعة قبائل نجران وتهامة والسروات ما اتجهت قريش إليهم لعقد اتفاقيات توفر الأمان لهم، ولمصالحهم التجارية[١]، ونستدل على وجود حلف دائم بين السرويين وقريش من أن قبائل السراة ولاسيما خثعم التي وقفت في وجه الحملة الحبشية التي توجهت لاحتلال مكة سنة (٥٧٠هـ) [٢]، وقد قوي شعور قبائل نجران وتهامة والسراة بالتضامن مع مكة بالمصاهرة عبر الزواجات المتبادلة بين الطرفين.[٣]

لقد تفجرت شجاعة فرسان نجران والسروات في حركة الفتوح ومن هؤلاء الفرسان عمرو بن معديكرب الزبيدي [٤]، ولد عمرو نحو عام ( ٧٥ ق. هـ، ٥٤٧م ) [٥]، وظهرت شجاعته من خلال تجربة صعبة، صقلته، وحققت ذاته، وذلك في أثناء إغارة خثعم على زبيدة [٦]، بينما كان مستغرقاً في النوم، وعندما استيقظ وجد لواء أبيه مرفوعاً، فركن إلى النوم[٧]، وبعد فترة رفع رأسه ثانية فإذا بلواء أبيه قد نزل[٨]، فانطلق وراء خثعم وأصاب منهم كثيراً، وعندئذ حملت زبيد على خثعم[٩]، وهزمتها، وأصبح عمرو يومئذ يلقب بفارس زبيد[١٠]، واستمر نجمه في صعود بعد أن بارز صناديد العرب مثل عنترة بن شداد، وعامر بن الطفيل، وعتبة بن الحارث بن شهاب، والسليك بن السلكة[١١]، فشهدوا له بالشجاعة وأصبح فارس اليمن، ولا مبالغة في ذلك فقد كان عمر بن الخطاب يعده بألف فارس[١٢] . وقد هيأت له خلقته الجسمانية[١٣]، وشجاعته، إلى جانب جرأته أن يكون الفارس الذي لا يفضل عليه غيره من العرب[١٤]، وقد تقدم به السن وكان يقاتل بشجاعة في معركة القادسية سنة (١٦هـ) [١٥]، ويقول للمسلمين هكذا اصنعوا بهم [١٦]،

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص٢٣ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف، المرجع نفسه، طبعة، ص٢٣ .

(٣) أحمد إبراهيم الشريف، المرجع نفسه، ص ٢٣، وللمزيد عن المصاهرة بين قبائل قريش وقبائل السراة، انظر ابن حزم، ص ٣٨٩، ٣٩١، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ١٣١، ص ٢٧٧ .

(٤) النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية، ص ١٩٧ .

(٥) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ٢٧٥ .

(٦) للمزيد انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص ٢٥ .

(٧) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٥، للمزيد انظر: النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ٩٨ .

(٨) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٥ .

(٩) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٥.

(١٠) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ١٩٨ .

(١١) عبده بدوي، الشعراء السود، ص ٤٩ .

(١٢) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ١٩٧ .

(١٣) كان عمر بن الخطاب إذا رآه يقول : " الحمد لله الذي خلقنا وخلق عَمراً تعجبا من عظمة خلقه، " الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٢٨ .

(١٤) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص١٩٩.

(١٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٦ .

(١٦) ويروي الطبري أنه مر في اليوم الأول من المعركة بين الصفين يحض العساكر، كذلك إذا خرج إليه فارس منهم فوقف بين الصفين ورماه بنشابة فما أخطأت قوسه، فالتفت إليه عمرو ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته

فيقول له بعضهم يا أبا ثور من يستطيع أن يصنع كما تصنع[١] .

وقد سجل شاعر بارق العباس بن مرداس قصيدة تؤكد شجاعته فقال :

**إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئوا زبيداً فقد أودى بنجديها عمرو**[٢]

وهناك فرسان في بلاد نجران والسراة لا تقل شجاعتهم عن شجاعة عمرو بن معدي كرب مثل جرير بن عبد الله البجلي، وكان شجاعاً مقداماً صبوراً ، وذا إرادة قوية راسخة[٣]، وظهرت شجاعته في وقائع متعددة مثل فتح همذان، وقد قاتل فيها قتالاً شديداً وفتحها[٤] بعد أن فقد إحدى عينيه[٥] ، وأبلى جرير في القادسية أيضاً بلاءً حسناً، وقال:

**أنا جرير كنيتي أبو عمر قد فتح الله وسعد في القصر**[٦]

وذكر الطبري أن سعد بن أبي وقاص قد شهد على شجاعته هو وقبيلته وأنشد في ذلك شعراً[٧].

ومن بلغت شهرتهم الآفاق في الشجاعة دريد بن الصمة[٨]، ودريد لقبه، والصمة لقب أبيه، وأمه ريحانة بنت معدي يكرب[٩]، ونشأ دريد بن الصمة في أسرة من الفرسان الشجعان حيث كان أبوه قائداً لبني جشم يوم نخلة[١٠]، في

---

فاحتمله فوضعه بين يديه حتى ذا دنا من الجيش العربي كسر رقبته بيده ثم وضع سيفه على حلقه ثم ألقاه وقال، هكذا فاصنعوا بهم " انظر: الطبري، ج ٣، ص ٥٣٧ .

(١) بطرس البستاني، الشعراء الفرسان، ص ١٥٢-١٥٣ . للمزيد عن جهاد عمرو بن معدي كرب وغيره في جبهات الفتوح الإسلامية انظر: غيثان بن جريس" دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " بحث منشور في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ ق٧-ق١٦م) ( الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج١، ص ٥٥-٩٢.

(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٢٥ .

(٣) محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٢٣٩ .

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٦ .

(٥) ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص ٤١٠، ابن الأثير : المصدر السابق، ج٣، ص ١١ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص ٥٧٧ .

(٧) ومما أنشد سعد في شجاعة بجيلة قوله :

**ما أرجو بجيلة غير أني أؤمل أجرها يوم الحساب**
**فقد لقيت خيولهم خيلاً وقد وقع الفوارس في الضراب**

الطبري المصدر السابق، ج٣، ص ٥٧٧، محمود شيت خطاب : المرجع السابق، ص ٣٣١ .

(٨) دريد بن الصمة : واسم الصمة : معاوية بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن عزية بن جشم بن معاوية بن بكر الفارس المشهور وأخواه عبد الله، وهو معبد، وأبو أسامه زهير بن معاوية وهو من بني عدي بن جشم، وقيل أنه قاتل سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه ثم أسلم بعد ذلك " ابن حزم : المصدر السابق، ص ٢٧٠ .

(٩) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٢٧٠ .

(١٠) يوم نخلة : نخلة موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم، وسبب الحرب فيه يرجع إلى أن البراض بن قيس الكناني سكيراً فاسقاً خلعه قومه وتبرأوا منه، فشرب في بني الديل فخلعوه، فأتى مكة وأتى قريشاً، فنزل على حرب بن أمية فأحسن جواره وشرب بمكة حتى هم حرب أن يخلعه، فقال لحرب إنه لم يبق أحد ممن يعرفني إلا خلعني سواك وإنك إن خلعتني لم ينظر إليّ أحد بعدك، فدعني على خلعك، وأنا خارج عنك، وتركه وخرج، وكان النعمان بن المنذر

حرب الفجار (٣٨ق هـ / ٥٨٤م) [١]، أما خاله فهو فارس العرب عمرو بن معدي كرب الزبيدي[٢]، وكان لدريد وقائع[٣]، وغارات عديدة تؤكد شجاعته في شبابه وهرمه، وليس أدل على ذلك مما حدث يوم حنين، حينما سارت بنو هوازن لقتال المسلمين، وأخرجوا دريد معهم [٤]، وكان يومئذ شيخاً هرماً فانياً أعمى لا بقية له، ولكنهم أرادوا أن يستفيدوا بخبرته الطويلة في المعارك والوقائع[٥].

ولم تكن الشجاعة قاصرة على الرجال فحسب، بل كان لبعض نساء نجران والسروات نصيب منها . ولقد تنوعت دواعي الشجاعة عند النساء في الجاهلية والإسلام [٦]، وتجلت شجاعة النساء في حركة الفتوح، ولاسيما نساء قبيلة بجيلة[٧]، حيث كن يخرجن مع جيوش المسلمين في جهادهم وغزواتهم، يحملن الماء إلى الظمأ ويعن الجريح ويحرسن

---

قد بعث إلى سوق عكاظ بلطيمة يجيزها له سيد مضر، فتباع ويشترى له بثمنها الأدم والحرير والبرود والوشي، وجهز النعمان لطيمة وقال من يجيزها قال البراض أنا أجيزها على بني كنانة . فقال النعمان إنما أريد رجل يجيزها على أهل نجد، فقال عروة، أنا أجيزها على الناس جميعاً، فدفعها النعمان إلى عروة وخرج بها ثم قتله وأخذ الراحلة وانطلق وشاع الخبر وانطلقت على أثره حرب الفجار، محمد أحمد جاد المولى وآخرون : أيام العرب في الجاهلية، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .

(١) عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٢٢٩ .

(٢) ذكر ابن كثير أن عمرو بن معدي كرب كان من الشجعان المذكورين، والأبطال المشهورين، والشعراء المجيدين، توفي سنة إحدى وعشرين " انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٧٢ .

(٣) يروي الأصفهاني أن دريد بن الصمة أغار على غطفان بعد مقتل أخيه عبد الله يطالبهم بدمه، وقتل من بني عبس ساعدة ابن مر، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب فقالت بنو جشم لو فاديناه، فأبى ذلك دريد عليهم وقتله بأخيه عبد الله، وقتل من بني حزام رجلاً يقال له حزام وأصاب جماعة من بني مرة ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان، وذلك في يوم الغدير، وفي هذا اليوم أنشد دريد بن الصمة في من قتل منهم في هذا اليوم .

جزيتا بني عبس جزاء موفرا ... بمقتل عبد الله يوم الذنائب
ولولا سواد الليل أدرك ركضنا ... نرى الرمث الأرضي عياض بن ناشب
قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص ٦ .

(٤) ذكر الأصفهاني أنه لما سمعت هوازن بفتح مكة جمعها مالك بن عوف وفيهم دريد بن الصمة وكان أعمى لا يبصر، فقال دريد لمالك يا مالك مالي أسمع رغاء البعير وبكاء الصبيان . قال : أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال فانقض به ووبخه ولامه . ثم قال: راعي الضأن وأي أحمق أنت وهل يرد المنهزم شيء ؟! ثم قال ما فعلت كعب وكلاب: قال لم يشهدها أحد منهم، قال دريد غاب الجد والجد ولو كان يوم علا ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا، قال دريد : فمن شهدها منهم قال بنو عامر بن عامر، وبنو عوف بن عامر، قال ذلك الجذعان من عام لا يضران ولا ينفعان، ثم قال يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن إلى نحور الخيل، فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ولم تفضح في حريمك، فقال : لا والله ما أفعل ذلك أبدا إنك خرفت وخرف رأيك وعلمك والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف، فقالوا له أطعناك وخالفنا دريداً، فقال دريد هذا اليوم لم أشهده ولم أغب عنه. الأصفهاني، المصدر السابق، ج٩، ص ١٤، ١٥ .

(٥) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٩، ص ٢ .

(٦) كانت دواعي الشجاعة عند النساء في الجاهلية متنوعة بين الوفاء للحاكم والرغبة في اللحاق، ولما جاء الإسلام وأقر الجهاد في سبيل الله، أخذت الشجاعة عند المرأة دوافع أرقى وأسمى، وزادت بطولاتها بعد أن أمنت أن الجهاد طريقاً إلى الجنة والرضوان، وأن لكل أجل كتاب، انظر: عز الدين فرج، تقاليد العرب، ص ٣٣ .

(٧) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص١٩٢ . عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ص٦٤ .

مؤخرة الجيش[١]، بل كن يشتركن اشتراكاً فعلياً في النزال والقتال [٢]، وكن يقاتلن كل من يطوف بخيامهمن وحصونهن [٣]، وذكر الواقدي أنه لم يكن بين قبائل العرب في حروب القادسية نساء أكثر من نساء بجيلة، وكن حوالي ألفاً وسبعمائة امرأة [٤]، وفي بعض الروايات ألفان[٥]، وتروي امرأة من بجيلة [٦]، " أنه حينما انهزمت الفرس شددنا ثيابنا وأخذنا الماء وابتغينا القتلى، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه، ومن كان من المشركين أخذنا ما عليه "[٧] .

أما الصيد فقد ولع أبناء نجران وتهامة والسراة به، ويعد من أنواع تسليتهم المفضلة، كما أن طبيعة بلادهم الجغرافية وطبيعتهم البشرية مهيأة لذلك . والصيد في أرض السروات رغبة، وحاجة، وضرورة. (١) رغبة عند شيوخ حثعم وغامد والأزد والقسر[٨] والأغنياء، لأنه يؤدي إلى تعويدهم الفروسية، وإدمانهم للرمي بالنشاب، والضرب بالسيوف واعتياد القتل، وتقليل اللامبالاة بإراقة الدماء وغصب النفوس[٩]، (٢) حاجة عند الفقراء، وهم في العادة لا يملكون شيئا، ولحم الصيد غذاء لهم لا يصل إليهم دائما[١٠]. (٣) ضرورة لدى الصعاليك في نجران والسروات، لأنه يوجد فيها حيوانات وحشية مثل الأسد، وقد وجد في مناطق عديدة من نجران وتهامة والسراة [١١]. مثل عثر في بلاد جازان ، ووادي حبون في نجران، ويذكر ياقوت بأنها مأسدة، أي كثيرة الأسود [١٢]، وأيضاً من مواضع الأسود ترج، وهو جبل بالسروات كثير الأسود[١٣]، كما وجدت الأسود وسباع أخرى في بيشة وتبالة[١٤] .

---

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٨٢ .

(٢) كان المثني وجرير أصاباً في أيام البويب غنماً ودقيقاً وبقراً، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة، وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم، وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات عمر عبد المسيح بن بقيلة، فلما رفعوا النسوة فرأين الخيل تصايحن وحسبنها غارة، فقمن دون الصبيان بالحجارة والعمد، فقال عمر : هكذا ينبغي لنا هذا الجيش، انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٦٩ .

(٣) عز الدين فرج، المرجع السابق، ص ٣٩ .

(٤) أبو عبد الله بن عمر الواقدي : المصدر السابق، ج١، ص ١٩٢ .

(٥) عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج١، ص ٦٤ .

(٦) ذكر الواقدي أن تلك المرأة تدعي أم كثير، وهي امرأة همام بن حارث" الواقدي : المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٢ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٣ .

(٨) كان آخر ملوك خثعم شهاب الخثعمي، وابنه محارق وهو الذي تولى الحكم من بعده، عاصر الرسول ﷺ، وهم سادات بني خثعم .مؤلف مجهول : فتوح اليمن، ص٥ .

(٩) علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام، ص ٥١٥ .

(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٧٦ .

(١١) للمزيد من التفصيلات عن مواطن الأسود والسباع في بلاد نجران وتهامة والسراة، انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٢١، ابن منظور، اللسان، ج٣، ص ٧٢ . وعن غمران وبيشة وترج وعثر وضنكان . انظر: معجم ياقوت الحموي، وبعض الكتب الجغرافية الإسلامية القديمة مثل : الهمداني، والإدريسي وغيرها .

(١٢) انظر : ابن منظور، اللسان، ج٢، ص ٢١.

(١٣) ياقوت، معجم، ( طبعة بيروت، ١٤٠٤، ١٩٨٤م)، ج٢، ص٢١

(١٤) المصدر نفسه، أنظر أيضاً : فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٥٨ .

وكان أبناء نجران والسروات يحتالون على صيد الأسد بطرق متنوعة منها طريقة إسقاطه في حفر تغطى فإذا مشى عليه سقط فيها، ولكن من الصعب صيده وهو في مكمنه، وفي ذلك قيل المثل: " كمبتغي الصيد في عرين الأسد " [١]، ومن الشائع كثرة القرود في جبال نجران وتهامة والسراة، ونجد، وهي لا تزال موجودة في هذه الأوطان حتى اليوم[٢]، إلى جانب بعض أنواع السعالي والغول[٣]، ولهذا كان معظم العرب يخافون هذه الأماكن التي تكثر فيها هذه الحيوانات، بعكس أبناء السروات ونجران، ويرجع ذلك إلى أنهم نشأوا وسط الجبال والنجود التي تكثر فيها هذه الحيوانات، لذلك نجدهم لا يخافون من هذه الحيوانات الوحشية، مثل ( تأبط شراً ) الذي كان يألف العيش في الأماكن التي تتواجد فيها السعالي وغيرها من الحيوانات البرية [٤].

ويشير الأصفهاني إلى أن تأبط شراً كان يصطاد الغيلان والسعالي [٥]، وذكر عبد الحليم حفني أن أبا خراش قد تعرض لصيد هذه الحيوانات، وذكر صورة دقيقة لقطيع من الحمير الوحشي سعى لصيدها، حيث أخذ أبو خراش يتابع القطيع[٦]، عندما كان يمشي مرهفاً سمعه خشية أن يكون في طريقه صائد[٧]، ولكن القطيع لم يستطع أن يخفي وقع أرجله، ويعبر أبو خراش عن ذلك فيقول:

**فلما دنت بعد استماع رهفته ... ينقب الحجاب وقعهن رجيل**[٨]

---

(١) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٧٨ .

(٢) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٧٨ . عبد الحليم حفني: المرجع السابق، ص ١٦٤ . مشاهدات الباحث في بلاد نجران وتهامة والسراة خلال السنوات الماضية المتأخرة .

(٣) الغول: من السعالي وهو إناث الشياطين، سميت بذلك لأنها تتلون كل وقت، وفي كتاب: الحيوان للدميري ( الغول بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين ) وقال الجوهري ( وهم من السعالى) . للمزيد انظر: الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٦ .

(٤) انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص ٢١٢ .

(٥) عبد الحليم حفني، المصدر السابق ،ص ٢٢٤

(٦) عبد الحليم حفني، المرجع السابق، ص ١٦٤ . ذكر الأصفهاني أن تأبط شراً تحدث عن صيد أحدهم فيقول:

ألا من مبلغ فتيان قومي ... بما لاقيت يوم رحى بطان
بأني قد لقيت الغول تهوي ... لقفز كالصحيفة صحصحان
فقالت لها كلاماً نضوا أين ... أخو سفر فجلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فخرت ... لها كفي بمصقول يماني
فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعاً للبدين وللجران
فلما أثقلت متكئاً عليها ... لأنظر مصبحاً ماذا أتاني
إذا عينان في رأس قبيح ... كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدع وشواة كلب ... وثوب من عباء أو شنان

انظر: الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ١٢ .

(٧) عبد الحليم حفني، المصدر نفسه، ص ٢٢٣ .

(٨) عبد الحليم حفني، المصدر نفسه، ص ٢٢٣ .

ثم نزلت الحمير الوحشية بطن الوادي، عند تجمع مياه الأمطار والسيول، ثم تجف فتنبت منها طحالب وأنواع من نباتات الصحراء، وفي أثناء اجتياز القطيع هذا الماء الآجن بما فيه من نباتات مضى في طريقه صوب الجبل، وهنا كان أبو خراش يراقب القطيع ووجد الفرصة مواتية لاقتناص أحد هذه الحمر بسهمه فاختار أقربها إليه، وفجأة أحس الحمار بأبي خراش وسهمه فحاول النجاة، ولكنه وجد نفسه وليس أمامه إلا شق في الجبل، فأصبح كالصيد في الفخ، وحينئذ كان سهم أبي خراش الضخم يغور في فؤاد الحمار[١].

وهذه القصة توضح جانباً من جوانب حاجة الصعاليك إلى الصيد التي تعتمد عليه حياتهم، ويرجع ذلك إلى طبيعة حياتهم في الصحراء وانقطاعهم عن المجتمعات التي تمتد لشهور عديدة، وذلك في رحلات الغزو البعيدة المدى في الفترات الطويلة التي يضطرون فيها إلى التخفي من المطاردة، ولا وسيلة هناك للعيش إلا بالصيد، بل كان الصيد من أساسيات طعامهم ومعاشهم[٢]. بالإضافة إلى صيد الحيوانات المستأنسة مثل الأرانب التي كان أهل السراة يجيدون صيدها[٣].

كان لعشائر نجران وتهامة والسراة أعياد متنوعة في الجاهلية، وكان الاتصال بهم صعباً نظرا لطبيعة أرضهم الجبلية، لذا صارت أعيادهم كثيرة، وغير متفقة في زمان أو مكان، وذات صفة محلية وهي مرتبطة بالأصنام[٤]. لذلك لا يمكن تحديد عيد واحد يجمع قبائل السروات [٥]، أما أعياد النصارى واليهود والمجوس في نجران فكان لها وضع آخر، لأن اليهودية والنصرانية قد حددت تاريخا ثابتا للأعياد، فصارت معروفة عند أتباع الديانتين يحتفلون بها في الوقت المحدد[٦].

ولعبادة أصنام السرويين والنجرنيين والتهاميين أعياد متنوعة في المكان والزمان، أما المكانية فهي موضع أصنامهم وأماكن طواغيتهم، والزمانية التي يشد إليها الرحال في مواسم معينة مثل ذي الخلصة [٧]، فكان له عيد في وقت معلوم من السنة[٨]، وكانت العرب جميعا

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٢) عبد الحليم حفني، المصدر السابق، ص ٢٢٤ .

(٣) يروي الأصفهاني أن تأبط شراً أغار وحده على خثعم، فبينما هو يطوف إذا مر بغلام وهو يتصيد الأرانب معه قوسان ونبله، فلما رآه ذهب ليأخذه فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى فضربه تأبط شرا وقال في ذلك :

وكادت وبيت الله أطناب ثابت ... تقوض عن ليلي وتبكي النوائح
تمنى فتى يلاقي ولم يكد ... غلام نمته المحصنات النوائح
غلام نمى فوق الخماسي قدره ... ودون الذي قد ترتجيه النواكح
فقد شهد في إحدى يديه كنانة ... تداوى لها في أسود القلب فادح

انظر : الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١٨ .

(٤) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ١٠٠ .

(٥) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ١٠٠ .

(٦) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ١٠١ .

(٧) ذو الخلصة : هو مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن . ابن الكلبي، الأصنام، ٦٤ .

(٨) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٥، ٣٤٦ . وللمزيد انظر: غيثان بن جريس " تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى . نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن

تعظمه وتتجه إليه كثير من القبائل مثل: هوازن، وخثعم، وبجيلة، وأزد السراة، ودوس، والحارث بن كعب، وحرم، وزبيد، والغوث بن مرة [١]، وبنو هلال بن عامر [٢]. وقد تنوعت مظاهر الاحتفال بيوم ذي الخلصة، حيث كانوا يلبسونه القلائد، ويهدون إليه الشعير والحنطة، ويصبون عليه اللبن، ويذبحون له، ويعلقون عليه بيض النعام [٣]، وكانت نساء دوس يحتفلن في العيد بالطواف حوله، ويؤكد ذلك قول الرسول ﷺ ( لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة ) [٤]، واستمر الاحتفال بعيد ذي الخلصة حتى هدمه جرير بن عبد الله البجلي، بتكليف من رسول الله ﷺ ( سنة ١٠هـ/٦٣١م) [٥].

بينما كان بنو الحارث بن كعب بن نجران، يعبدون نخلة طويلة ، ويصنعون لها عيدا كل عام [٦] في وقت معلوم، وإذا جاء وقت العيد علقوا على النخلة التي كانوا يدينون لها بالعبادة كل ثوب حسن وحلي ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها [٧]. وقد ارتبطت نهاية عبادة النخلة في نجران برجل صالح يدعى فيمون[٨]، الذي كان على دين المسيحية وتبعه أهل نجران، ويشير ياقوت إلى أن أحد سادات نجران اشترى فيمون[٩]، وكان فيمون إذا قام للصلاة في بيت سيده، يبدد ظلام الليل نورا، فأعجب سيده ما رأى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به[١٠]، وقال فيمون إنما أنتم على باطل، وهذه الشجرة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت الله لأهلكها[١١]، فقال سيده : إنك إن فعلت هذا دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه، فقام فيمون وتطهر وصلى، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله ريحا عصفت بها[١٢]، وعند ذلك تبعه أهل نجران وأسلموا جميعهم .

---

لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي المنعقد في مدينة المنامة بالبحرين في الفترة من (٧-١٠ربيع الآخر١٤٢٨هـ)، ص ١٧٩-٢١٥، للمزيد: انظر، الدراسة نفسها في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة لابن جريس، الجزء الثاني، ص ٤٢٣، ٤٧٠ .

(١) الغوث بن مرة : هو إخوة طيء ومذحج والأشعريين وفهم، وهم بطون كثيرة تنتهي كلها إلى الحرث بن مرة .انظر الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٦ .

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٩٣ .

(٣) الأزرقي، المصدر السابق، ص ٣٧٦، علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام، ص ١٥١ .

(٤) الأزرقي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٧، وذكر جواد علي أن المعنى أنهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان فتسعى نساء دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن" انظر: جواد علي، المرجع السابق، ص٢٧٢.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٠ .

(٦) ياقوت ،معجم البلدان، ج٥، ص٢٦٦، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٧

(٧) ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٢٦٦، الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٧ .

(٨) فيمون: هو رجل صالح مجتهد في العبادة، مجاب الدعوة، وكان سائحاً فاختطفته سيارة من العرب، وخرجوا به حتى باعوه بنجران، وكان أهل نجران يعبدون نخلة إذا قام في الليل للصلاة في بيت سيده، وعندما رآه سأله عن دينه، فأخبره به وهو دين عيسى . للمزيد انظر: ياقوت : المصدر السابق، ج٥، ص ٢٢٦ .

(٩) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٦٦ .

(١٠) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٦٦ .

(١١) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٦٦.

(١٢) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦٦ .

ومن الأصنام المهمة التي يقام لها الأعياد في السروات "نهم "[١]، وكان له أتباع يقدمون له الذبائح، ويقسمون به، ويلقبون أبناءهم باسمه، مثل ( عبد نهم ) من بني هوازن[٢]، وبجيلة، وخزاعة مما يدل على انتشار عبادة هذا الصنم بين قبائل عديدة في أرض السروات، وهناك رواية تذكر أن قبيلة مزينة كانت تدين له بالعبادة[٣] . ويشير ابن الكلبي إلى أنه لما سمع خزاعي بن عبدنهم من مزينة بالنبي ﷺ سار إلى الصنم فكسره وأشار يقول :

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده ... عشيرة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسي حين راجعت عقلها ... هذا إله أبكم ليس يعقل[٤]

ونستدل من شعر الخزاعي بن عبد نهم أنهم كانوا يذهبون إلى ( نهم ) في المناسبات ويذبحون عنده. وعندما ظهر الإسلام حارب جميع الأصنام المنتشرة في أرض السروات، وحرم التبرك بها في كافة الأعياد والحفلات عندها، وحل محلها أعياد دينية شرعية يحتفلون فيها المسلمين مثل عيدي الفطر والأضحى، وصار للمسلمين مواسم دينية أخرى كشهر رمضان، وصلاة الجمعة وغيرها من العبادات المفروضة على كل مسلم[٥] .

## خامساً : صور من مظاهر الحياة الثقافية والفنية :

### ١- العلوم الدينية :

يعد الحديث الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي باتفاق جميع المذاهب الإسلامية، وقد نال الحديث حظاً وافراً من جهود اليمن ونجران وتهامة والسراة، ومن أشهر المحدثين في السروات أبو هريرة، وهو عريف أهل الصفة [٦] . ويكنى أبا هريرة[٧]، ويرجع نسبه إلى دوس[٨]. وعلى الرغم من أن أبا هريرة من الفقراء المساكين[٩]، إلا أنه قد بلغ درجة عالية في رواية الحديث بسبب ملازمته لرسول الله ﷺ

---

(١) نهم : ذكر ابن الكلبي أنه كان لمزينة صنم يقال له نهم، وبه كانت تسمى عبد نهم، وكان سادن نهم يسمى خزاعي ابن عبد نهم من مزينة. انظر: ابن الكلبي، الأصنام، ج١، ص ٣٧ .

(٢) هوازن : بطن من خزاعة من بني مزيقياء من القحطانية القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٤٢.

(٣) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ١٥٦ .

(٤) ابن الكلبي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٧٠ .

(٥) لم نفصل الحديث عن أعياد المسلمين التي كان يمارسها أهل نجران وتهامة والسراة، وهي نفس الأعياد التي كانت معروفة عند العرب المسلمين في الحجاز أو في الأمصار الإسلامية الأخرى .

(٦) الصفة : الموضع المظلل من المسجد، وكما كان جارياً في أبنية المسجد ألا تظلل فإن ظلل بها جزء لحاجة كانت صفة، وكان في مسجد رسول الله صفة يأوي إليها كثير من الفقهاء والغرباء يسمون أهل الصفة .انظر: محمود أمين النواوي : تراجم إسلامية لكبار الصحابة والتابعين، ص ٨٧ .

(٧) يروي ابن قتيبة أن أبا هريرة يكنى عبد الشمس، ويقال عمير بن عامر . ويقال سكين، انظر: ابن قتيبة : المعارف، ص٢٧٧ .

(٨) دوس : بطن من الأزد، وهو دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن الأزد، ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٩) محمود أمين النواوي، المصدر السابق، ٨٩ .

وحبه للعلم [١]، بل يعتبر أبو هريرة أحد أعلام رواة الحديث ليس في السراة فحسب، بل في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي كله، وليس أدل على ذلك من قول الشافعي[٢] أنه أحفظ من روى الحديث في دهره[٣].

وقد روى أبو هريرة كثيراً من الأحاديث حتى قال الناس إن أبا هريرة قد أكثر رواية الحديث[٤]، وأمره عمر بن الخطاب بعدم رواية الحديث[٥]، فانتهى أبو هريرة عن راوية الحديث في عهد عمر [٦]، وفي رواية أخرى أنه سمح له برواية الحديث[٧]. ومن الأحاديث التي سمعها أبو هريرة من الرسول ﷺ ورواها قوله : "جاء الطفيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال إن دوسا قد هلكت وعصت وأبت فادع الله عليهم فقال رسول الله ﷺ (اللهم أهد دوسا وأت بهم) [٨]، ويروى عنه أنه قال: لما قدمت على النبي ﷺ وبايعته فبينما أنا عنده إذ طلع غلام فقال لي النبي ﷺ : يا أبا هريرة هذا غلامك فقلت: هو حر لوجه الله فاعتقته[٩]. ويروى عنه أيضا أنه قال : قال :رسول الله ﷺ( أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمنية) [١٠].

لم تكن رواية الحديث مقصورة في قبيلة دوس على أبي هريرة، بل كانت تمتد إلى غيره من الرواة مثل سعد الدوسي[١١]، الذي روى عن أنس بن مالك أن أعرابياً سأل

---

(١) قال أبو هريرة أنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرس بالوادي، أو صفق بالأسواق، وإنما كنت أطلب من رسول الله كلمة يعلمنيها أو أكلة يطعمنيها فقال له ابن عمر أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله وأعلمنا بحديثه، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١١٦ .

(٢) الشافعي : هو هاشمي قرشي ولد بغزة في محيط عربي لذلك نشأ بارعاً في اللغة والشعر القديم، وطلب العلم من شيوخ عصره خصوصا الإمام مالك، وأم الشافعي يمنية، من الأزد . عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٣١٧ .

(٣) محمود أمين النواوي : المصدر السابق، ص ٩١، ( وقال الواقدي حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه قال كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة وهو يمشي أمامها ويكثر الترحم عليه، ويقول كان ممن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين . ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص١١٦ .

(٤) محمود أمين النووي، المصدر السابق، ص ٨٩ .

(٥) روى أبو زرعة الدمشقي عن سائب بن يزيد . قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو ألحقنك بأرض دوس . ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص ١١٥ .

(٦) ذكر ابن كثير أن أبا هريرة قال أكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي، أما والله إذ لأيقنت أن الدرة ستباشر ظهري، فإن عمر كان يقول اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله . ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص١١٦ .

(٧) ذكر ابن كثير أن يحيى بن عبد الله روى عن أبيه عن أبي هريرة قال: بلغ عمر حديثي فأرسل إلي فقال: كنت معنا يوم رسول الله ﷺ في بيت فلان؟ قال : قلت: نعم قد علمت لم تسألني عن ذلك قال: ولم سألتك؟ قال: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ. من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . إما إذا فاذهب فحدث . ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص١١٥.

(٨) ذكر ابن هشام أن الطفيل حينما دعا قومه إلى الإسلام فكثر رفضهم واشتد إنكارهم له، وبعد أن أصابه اليأس من إسلام قومه عاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو على قومه . ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤، ابن كثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٦٨، ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٣ .

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٦٨ .

(١٠) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٦٨ .

(١١) سعد الدوسي : روى عن أنس بن مالك أن أعرابياً سأل النبي عن الساعة قال : ما أعددت لها ثم أتى المسجد فصلى فخفف الصلاة ثم قال أين السائل عن الساعة . انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٢٧٦ .

النبي ﷺ عن الساعة[١]. وإياس بن عبد الله بن أبي ذياب الدوسي[٢]. وكثيراً من المحدثين الثقات[٣]. ومن أهم رواة قبيلة بجيلة جرير بن عبد الله البجلي[٤]، ويذكر عنه أنه قال ما صحبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ورآني إلا وضحك[٥].

وروي عنه أيضاً أنه قال[٦] إني لا أثبت على الخيل، فضرب ﷺ بيده في صدري، وقال اللهم ثبته، واجعله هادياً مهدياً[٧]، وروي عن جرير قال : قلت يا رسول الله اشترط عليّ فأنت أعلم بالشرط قال: أبايعك على أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتنصح المسلم وتبرأ من الشرك[٨].وروي عنه أيضاً أنه قال: بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال : يا جرير لأي شيء جئت قلت: أسلم على يديك يارسول الله قال : فألقى عليّ كساء ثم أقبل على أصحابه فقال :إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه[٩]. ويشير ابن كثير بأنه روى عن جرير كثير من الرواة الثقات[١٠]. قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته[١١]، ومن الملاحظ أن رواية الحديث لم تكن مقصورة على شيخ قبيلة بجيلة جرير بن عبد الله البجلي، بل نهض بها عدد من

---

(١) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧٦.

(٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٥ .

(٣) روى عبد الوهاب بن أبي منصور الصوفي بإسناد عن سليمان بن الأشعث عن أبي خلف وأحمد بن عمرو قال روى سفيان عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن إياس بن عبدالله بن أبي ذياب قال . قال رسول الله ﷺ لا تضربوا إماء الله عز وجل فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال زئر النساء على أزواجهن أي اجترأن على أزواجهن ونشزن عليهم، فرخص في ضربهن، انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه ،ج١، ص ١٥٦ .

(٤) ذكر ابن الأثير أنه روى همام بن الحارث وأبو وائل وأبو زرعة عن عمر بن جرير وغيرهم وأخبرنا إسماعيل بن عبد الله وغيره بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة السلمي، أخبرنا أحمد بن منيع عن معاوية بن عمرو عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: ما صحبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا وضحك . ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٢٨٠ .

(٥) الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٧٨ .

(٦) ذكر ابن الأثير أنه روى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي عندما أرسله الرسول ﷺ إلى ذي الخلصة ليهدمها قال: إني لا أثبت على الخيل فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: اللهم اجعله هادياً مهدياً، فخرج في مائة وخمسة وخمسين راكباً من قومه فأحرقها فدعا رسول الله ﷺ لخيل أحمس ورجالها، انظر:ابن الأثير المصدر السابق، ص ٢٨٠ .

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٧٨، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٠، حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي، ص ٥٧٥ .

(٨) ابن كثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٧٨ .

(٩) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٧٨ .

(١٠) ذكر ابن الأثير أنه روى عن جرير كثير من الرواة مثل أبي الفضل الخطيب عن أبي الخطاب عن عبد الله بن عبيد الله المعلم عن الحسين المحاملي عن أحمد بن محمد بن يحيى بن سعد عن الحسين الجعفي عن زائدة عن بيان البجلي عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال : " إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، ابن الأثير : المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٠ .

(١١) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٠ .

أبناء بجيلة مثل سعد بن بجير[١]، وزهير بن علقمة البجلي الذي روي عنه أحاديث كثيرة[٢]، ومن رواة بجيلة أيضاً أبو حازم البجلي[٣]، وسميط البجلي[٤]، كذلك يزيد بن عبد الله البجلي[٥]، وورد بن خالد السلمي البجلي[٦]، وقد اشتهرت قبيلة خثعم بكثير من الرواة مثل عبد الله بن مالك الخثعمي الذي روى عنه أبو يحيى عن عمرو بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعة [٧]، وروي عن أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي[٨]، أنه آخى رسول الله ﷺ بينه وبين بلال بن رباح مولى أبي بكر، قال رسول الله ﷺ أنت أخوه وهو أخوك[٩] ،وروي عنه أيضاً قال : أتيت رسول الله ﷺ فعقد لي لواء وقال اخرج فناد من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن، ومن رواة خثعم أيضاً دكين بن سعيد الخثعمي[١٠]، وقد روي عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة راكب نسأله، فقال النبي ﷺ ياعمر اذهب فأعطهم فقال يارسول الله سمعاً وطاعة، قال فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة فأخرج المفتاح من غرفته ففتح الباب، وكان في الغرفة تمر، فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء [١١].

---

(١) سعد بن بجير : هو ينسب إلى بجير بن معاوية بن قحافة بن نفيل بن سدوس بن عبد مناف بن أبي أسامة بن سحمة بن سعد ابن عبد الله بن قداد بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أرش البجلي، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٧٠ .

(٢) ذكر ابن الأثير عن زهير بن علقمة البجلي أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ، بابن لها قد مات، فقالت يا رسول الله قد مات لي ابنان فقال لقد احتظرت من النار حظاراً شديداً، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١٠ .

(٣) أبو حازم : هو صخر بن العيلة . وهو بجلي من أحمس، وله صحبة ورواية عن النبي ﷺ وروى عنه حفيده عثمان بن أبي حازم، وينسب إلى عوف بن عبد الحارث، وقيل عوف بن حسيس بن هلال بن الحارث بن كلب بن عمرو بن لؤي بن رهم بن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار . ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٥، ص ١٦٦، ابن كثير: المصدر السابق، ج٥، ص ٧٨ .

(٤) ذكر ابن الأثير أنه روى عنه زيد بن الخباب عن موسى بن عبيدة عن سميط البجلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( من رابط يوماً في سبيل الله كان كعدل شهر صيامه وقيامه) . ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٧ .

(٥) يزيد بن عبد الله البجلي: روى عنه ابنه حميد في فضل جرير بن عبد الله . ابن الأثير : المصدر السابق، ج٥، ص١١٦.

(٦) ورد بن خالد السلمي البجلي : هو الورد بن خالد بن خزيمة بن عمرو بن خالد بن حذيفة بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سليم وكان على ميمنة الرسول ﷺ يوم الفتح، أخرجه أبو عمر البجلي . انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص٨٦ .

(٧) أبو رويحة عبد الرحمن عداده في الشاميين وينسب إلى قبيلة خثعم بالولاء، وقد روى أبو موسى في ترجمة أبي رويحة أن بلالاً لما أذن له عمر أن يقيم بالشام قال وآخى رسول الله ﷺ بيني وبينه، فدل بهذا أنه ليس أخ في النسب، وقوله في هذه الترجمة أن رسول الله ﷺ أخى بينه وبين بلالاً وقوله له الفرعي الخثعمي فإن الفرع بطن من شهران بن حلف بن خثعم . انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص ١٩٦ .

(٨) ابن الأثير، المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٩٦.

(٩) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ١٩٦ .

(١٠) روى أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد عن أبي وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن دكين بن سعيد الخثعمي أنه قال أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة راكب نسأله الطعام فقال النبي ﷺ يا عمر اذهب فاعطهم .انظر: ابن الأثير :المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٣.

(١١) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٣ .

وظهر من قبيلة الأزد عديد من الرواة مثل زهير بن أبي جبل[١]، وهو من أزد شنوءة، ومن الأزد عروة بن الجعد البارقي، من قبيلة بارق [٢]، وروى عنه أن رأى رسول الله ﷺ يمسح خد فرسه فقيل له في ذلك، فقال إن جبريل عاتبني في الفرس[٣].

ومن رواة ثمالة عتبة بن عبد الله الثمالي روى أن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة قبل سائر أمتي إلا بضعة عشر رجلاً، منهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط اثنا عشر وموسى وعيسى ومريم بنت عمران عليهم السلام [٤]، وأيضاً عبد الرحمن بن فرط الثمالي، وروي عنه أن النبي ﷺ ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام وزمزم، وكان جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فطار به حتى بلغ السماوات السبع[٥]، ومن الرواة الذين اشتهروا من ثماله الحكم بن عمر الثمالي [٦]، والحكم بن عمير الثمالي [٧]، قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الليل، وصلاة الغداة، وصلاة الجمعة[٨].

كما برز في قبيلة باهلة[٩] بعض من الرواة مثل أبي أمامة الباهلي [١٠]، روى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يومئذ يقول اكفلوا لي بست أكفل لكم الجنة، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا أؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم [١١].

---

(١) زهير بن أبي جبل : قيل عبد الله، وقيل محمد بن زهير بن أبي جبل الشنوي من أزد شنوءة، أخبرنا أبو موسى، أخبرنا أحمد ابن إسحاق بن بهلول عن عبدة بن سليمان عن ابن مبارك عن شعبة عن أبي عمران الجوني عن زهير بن أبي جبل قال. رسول الله ﷺ من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له، ومن بات على ظهر بيت ليس عليه إجار فمات فلا ذمة له . انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج، ص ٢٠٧ .

(٢) عروة بن جعد البارقي : وقيل ابن أبي الجعد البارقي، وقيل الأزدي سكن الكوفة، وروى عنه الشعبي، وسماك بن حرب، وشريح بن هاني وغيرهم، وكان ممن سيره عثمان بن عفان إلى الشام مرابطاً ومعه عدة أفراس منها فرس أخذه بعشرة آلاف من الدراهم، وقال شبيب بن عرقدة رأيت في دار عروة بن الجعد سبعين فرساً مربوطة للجهاد في سبيل الله . انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص ١١.

(٣) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٦٣ .

(٤) ابن الأثير، المصدر نفسه ، ج٣، ص ٣٦٣ .

(٥) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٣٠ .

(٦) الحكم بن عمر الثمالي : ثمالة من الأزد، شهد بدراً وروى أحاديث كثيرة . انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥ ،ص٣٧.

(٧) الحكم بن عمير الثمالي : يعد في الشاميين سكن حمص تفرد بالرواية عنه موسى بن حبيب وكان بدرياً، ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٧ .

(٨) ابن الأثير، المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٩٦.

(٩) باهلة : هم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، انظر: ابن حزم : المصدر السابق، ص ٤٨١.

(١٠) أبو أمامة الباهلي : واسمه صدي بن عجلان، وسكن مصر ثم انتقل منها فسكن حمص في الشام، ومات بها وكان من المكثرين في الرواية، وتوفي في سنة إحدى وثمانين . ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١٣٨، ١٣٩ .

(١١) ابن الأثير، المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٣٩ .

ومن أهم رواة بني الحارث بن كعب هانئ بن يزيد[١]، وروي عنه أنه وفد على رسول الله ﷺ مع قومهم فسمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال. إن الله هو الحكم فلم تكنى أبا الحكم، قال: لأن قومي إذا اختلفوا في شيء فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال رسول الله ﷺ ما أحسن هذا إلى جانب عبدة من مسهر[٢]. وروي عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ أين منزلك يا ابن مسهر قال بكعبة نجران.

ومن رواة قبيلة زبيد نافع بن عمرو بن معد يكرب[٣]. يروى أنه قال: كنت أنا وعائشة إذ سألت رسول الله ﷺ عن الآية أعني [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] فقال يارب، فأنزل الله عز وجل جبريل عليه السلام. فقال الله تبارك وتعالى يقرؤك السلام وهو يقول هذا عبدي الصالح بالنية الصادقة وقلبه نقي يقول يارب، فأقول لبيك فأقضي حاجته[٤].

وقد اشتهرت منطقة جرش بعدد من الرواة مثل ربيعة بن الغاز الجرشي[٥]. فضلاً عن ربيعة الجرشي[٦]، كما روى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد بن ربيعة الجرشي قال: قال رسول الله ﷺ استقيموا ونعم إن استقمتم، وحافظوا على الوضوء، وخير عملكم الصلاة[٧]، إلى جانب يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري الجرشي روى عنه[٨]، أنه قال. قال: رسول الله ﷺ يبتلى العبد أن أعطاه فإن رضي بما قسم الله بارك له، وإن لم يرض بما أعطاه لم يبارك له ولم يسعه[٩].

ومن رواة قبيلة مراد فروة بن مسيك المرادي[١٠]، يروي عنه كثير من الرواة الثقات.

---

(١) هانئ بن يزيد: هو هانئ بن زيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب، واسمه هانئ بن يزيد بن كعب المذحجي الحارثي، ويكنى أبا شريح بابنه شريح. ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٣.

(٢) عبده بن مسهر: ذكر ابن الأثير أنه أدرك النبي ﷺ وروى عنه إسماعيل بن خالد عن أبي زرعة بن عمر وابن جرير عن عبده بن مسهر. ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٣٧.

(٣) نافع بن عمرو بن معد يكرب: روى حديثه محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن نافع بن معدي كرب عن جده عن أبيه نافع ابن معدي كرب. انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ١١.

(٤) انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٩٦.

(٥) ربيعة بن الغاز: هو هشام بن الغاز بن ربيعة، وكان يفتي الناس أيام معاوية، وكان فقيهاً، روى عنه عطية بن قيس والحارث بن يزيد وعلي بن رباح وبشير بن كعب. انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٧٠، ١١٧.

(٦) ربيعة الجرشي: هو ربيعة بن عمرو الجرشي، وقيل له صحبة، وقتل يوم مرج راهط، ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٢، ص١٧١.

(٧) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٧١.

(٨) ذكر ابن الأثير أنه روى هشيم عن يونس بن عبيد عن يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري الجرشي. ج٥، ص ١١٦.

(٩) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ١١٦.

(١٠) ذكر الميداني أنه روى أبو الحسن علي بن محمد الواحدي، عن أبي بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، عن أبي عمر بن مظهر عن أبي خليفة عن أبي همام عن إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن هانئ عن فروة بن مسيك المرادي. انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ص٧٦.

عن فروة بن المسيك قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله سبأ أرجل هو أم امرأة؟ فقال: هو رجل من العرب ولد عشرة، تيامن منهم ستة[١]، وتشاءم منهم أربعة[٢]، فأما الذين تيامنوا فالأزد وكندة[٣]، ومذحج والأشعرون[٤]، وأنمار ومنهم بجيلة. وأما الذين تشاءموا : فعاملة[٥]، وغسان[٦]، ولخم[٧]، وجذام[٨]، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم[٩] .

ولم تكن رواية الحديث قاصرة على الرجال في قبيلة خثعم، بل كان ينهض بها عدد من النساء مثل أسماء بنت عميس الخثعمية [١٠]. ويروى عن أسماء أنها قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر . فقال: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك، فقال لطلحة : إذا لقيت الله ربي فساءلني قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك[١١] .

## ٢. العلوم الأدبية والعلمية :

### أ. الشعر والشعراء .

يعد الشعر موهبة إنسانية عامة لا تختص بقوم دون قوم ولا بأمة دون أمة، وهو نتاج قرائح كل موهوب من كل القبائل[١٢]. والشعر هو شعور، وتعبير عن عواطف تخالج النفس فكل إنسان يكون عنده حس مرهف، واستعداد طبيعي يمكن أن يكون شاعراً[١٣] .

---

(١) تيامن : قصدوا اليمن . الميداني : مجمع الأمثال، ص ٧٦ .

(٢) تشاءم : ساروا إلى الشام . الميداني: مجمع الأمثال، ص ٧٦ .

(٣) كندة : هي قبيلة تنسب إلى كندة بن ثور بن عفير بن عدي بن لحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان إبراهيم احمد المقحمي، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص ٣٥٠ .

(٤) الأشعرون : هم بني الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . انظر: عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج٢، ص ١٧ .

(٥) عاملة: بطن من كهلان، من القحطانية، وهم : بنو عاملة، واسمه الحارث بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . انظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٣٣٣ .

(٦) غسان : حي من الأزد من القحطانية، وسمو غسان لماء اسمه غسان بين زبيد ورمع شربوا منه، القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٣٨٨ .

(٧) لخم : هو أخو عاملة . القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٣٣٣ .

(٨) جذام : بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٢٠٥ .

(٩) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٣٤ .

(١٠) أسماء بنت عميس : هي أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن خلف بن أفتل وهو خثعم، الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٢٦ .

(١١) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص٤٣٣ .

(١٢) جواد علي، المفصل، ج٥، ص ٣٥٠ .

(١٣) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ٣٥٠ .

وقد اشتهرت بلاد نجران وتهامة والسراة بطائفة من الشعراء الذين لا تزال آثارهم حتى اليوم تشهد على ما بلغه الأدب من منزلة رفيعة في هذه الأوطان، ونذكر مجموعة من الشعراء يمثلون مختلف قبائل نجران والسروات مثل عمرو بن معد يكرب الذي يعد من أعظم شعراء السراة قبل الإسلام وبعده ويكنى بأبي ثور، وتنسب أمه إلى قبيلة جرم[١]، وتدور أغراض عمرو الشعرية حول الحماسة والفخر والهجاء والمدح والغزل، وصور الهجاء في شعر عمرو متنوعة ومنه القصيدة التي كانت سبب الحرب التي بين جرم ونهد[٢] وكانت جرم في حلف مع زبيد، ففي إحدى المعارك انهزم بنو زبيد[٣]، فخذلها بنو جرم ولم يراعوا حق الحلف، فأنشد عمرو شعراً قائلاً:

**ومرد[٤] على جرد شهدت طرادها ... قبيل طلوع الشمس أو حين ذرت**
**صبحتم[٥] ببيضاء ببرق بيضها[٦] ... إذا نظرت فيها العيون ازمهرت[٧]**
**لحا[٨] الله جرما كلما ذر شارق[٩] ... وجوه كلاب هارشت[١٠] فازبأرت[١١]**
**ظللت كأني للرماح دريئة[١٢] ... أقاتل عن أبناء جرم وفرت[١٣]**
**فلم تغن جرم نهدها إذ تلاقيتا ... ولكن جرماً في اللقا ابذعرت[١٤]**

ويعد الفخر من المحاور الأساسية التي يدور حولها شعر عمرو بن معديكري، ومن صور الفخر تلك الأبيات .

**أنا أبو ثور وسيفي ذو النون ... أضربهم ضرب غلام مجنون**
**يا آل زبيد إنهم يموتون[١٥]**

---

(١) جرم : بطن من بجيلة من أنمار بن أراش من القحطانية انظر: عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج١، ص ١٨٢ .

(٢) نهد : بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، القلقشندي، المصدر السابق، ص ٤٣٣ .

(٣) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٥ .

(٤) المرد : جمع أمرد الفرسان الشابان . انظر : عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٥) صبحتم : هاجمتهم باكراً ، عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٦) بيضاء:بكتيبة بيضاء اللون لكثرة ما عليها من الحديد، والبيضة : الخوذة ، عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٧) أزمهرت العين : احمرت وتهيجت من النور الشديد ، عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٨) لحا : لعن ، عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٩) كلما ذر شارق : كلما طلع كوكب . عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١٠) هارشت : تقاتلت . عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١١) فازبأرت : انتعش ريشه أو تفرق ، عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١٢) دريئة : غرض . عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١٣) الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج٣ ، ص ١٤٧ .

(١٤) الألوسي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٤٧

(١٥) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٢٦ .

وأنشد عمرو أيضاً في الفخر بنفسه وقومه في حرب القادسية :

والقادسية حين زاحم رستم ... نا الحماة بهن كالأشطان
الضاربين بكل أبيض مخذم ... والطاعنين مجامع الأضغان
قوم هموا ضربوا الجبابر إذ بغوا ... بالمشرفية من بني ساسان
حتى استبيح قرى السواد وفارس ... والسهل والأجيال من مكران[١]

ولا مبالغة في ذلك فهو فارس اليمن الذي لا يفضل عليه فارس من العرب، وهو صاحب الغارات والوقائع مع فرسان العرب مثل عامر بن طفيل [٢] وعنترة بن شداد[٣] والسليك بن سلكة، بل عندما سئل عن العباس بن مرداس قال أقول فيه :

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئوا ... زبيداً فقد أودى بنجديها عمرو[٤]

إلا أن عمراً كان يركن إلى الفرار أحياناً، ويتضح ذلك عندما سبيت أخته ريحانه حين سباها الصمة فارس بني هوازن، وأعرض عمرو عن نجدتها وقال:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع
سباها الصمة الجشمي غصباً ... كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس ... تكشف عن سواعدها الدروع
إذ لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع[٥]

ويذكر الأصفهاني عن صور فراره أن ربيعة بن مكدم أحد فرسان العرب طعن عمرا فألقاه عن فرسه وأخذها، ثم لقيه مرة أخرى فضرب به فوقعت على سرج الفرس فقطعته فسالمه عمرو وانصرف[٦]، وكان عمرو شاعر زبيد، والمعبر عنها بشعره في المناسبات المختلفة، ويتضح ذلك حينما انطلق هو وقومه إلى الرسول ﷺ فصدقه وآمن به[٧]، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح المرادي توعد عمرا، وقال خالفني وترك رأيي[٨] فقال عمرو في ذلك :

أمرتك يوم ذي صنعاء أمراً بادياً رشده
أمرتك باتقاء الله والمعروف تاتعده[٩]

---

(١) النعمان عبد المتعال القاضي ، شعراء الفتوح الإسلامية ، ص ٢١٥ .
(٢) عامر بن الطفيل : هو ابن أخي عامر ملاعب الأسنة وكان أفرس أهل زمانه وكان منادى عمر بن الطفيل بنادي عكاظ . هل من راحل فأحمله، أو جائع فأطعمه، أو خائف فأؤمنه . أبو الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد . الميداني : مجمع الأمثال، ص ٩٨، ٩٩ .
(٣) عنترة بن شداد، هو من مشاهير شعراء الجاهلية، كما كان من الفرسان المذكورين وله وقائع كثيرة، الألوسي :المصدر السابق، ج٣، ص ١١٦ .
(٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص٢٨، انظر: النعمان عبد المتعال القاضي، مرجع سابق، ص١٩٩.
(٥) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٣٣ ، الألوسي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٤٦ .
(٦) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٣١ .
(٧) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٣٣ .
(٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣٣، الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٦ .
(٩) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣٣ .

أما عن شعر عمرو في الفتوح فقد كان قليلاً جداً، لا يتجاوز عدة مقطوعات قصيرة، وهذه ظاهرة عامة عند الشعراء القدامى الذين اشتركوا في الفتوح جميعها، ولا يمكن أن نجد في شعر الفتوح قصيدة طويلة، أو متعددة الأغراض، كقصائد الجاهلية، فلا ظروف القتال من جانب ولا نفسية المقاتل من جانب آخر تتيحان امتداد نفس الشاعر[١]، فتحولت القصائد إلى مقطوعات قصيرة، يصب فيها الشاعر عواطفه في لحظة سرعة وخاطفة، كتلك التي قالها عمرو يوم قتله لرستم، وساق معان كثيرة [٢] في تلك الأبيات القليلة التي تقول :

ألم بسلمى قبل أن تظعنا ... إن لنا من حبها ديدنا
قد علمت سلمى وجاراتها ... ما قطر الفارس إلا أنا[٣]

وهناك قصيدة له في فتح بلاد خثعم، وقد اشترك عمرو في فتحها بعد أن كتب الرسول ﷺ إليه " بسم الله الرحمن الرحيم، من عند رسول الله ﷺ محمد بن عبد المطلب إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي، إننا نازلون على بني خثعم نقاتلهم ونأمرهم بالإسلام وأنت ساعة وصول الكتاب إليك تأتي إلينا بمن معك من المسلمين على غاية العجل، والسلام على خير الأنام"[٤]، وبعد بلاء عمرو في المعارك قال :

وما زلت أفنيهم بقوة ساعدي ... ونفسي قد طمأنتها فاطمأنت
صبرت كأني للرماح دهينة ... أذب عن الدين القويم بقوتي
فكم فارس أرديت من بعد فارس ... ولم أبق من جيش العدا من بقية
فقطعتهم بالسيف والرمح والقنا ... وأسعدني ربي بخير البرية[٥]

تأبط شراً وهو شاعر من قبيلة فهم، ويلقب تأبط شراً[٦]، وهو أحد شعراء الصعاليك[٧]، وكانت قبيلته تضم عدداً كبيراً من الشعراء مثل الشنفرى. وعن سبب تسميته تأبط شراً تشير المصادر التاريخية إلى أن ثابت بن جابر رأى كبشاً فحمله تحت إبطه فلما اقترب من منزله أدركه التعب من حمل الكبش فرمى به، فإذا هو غول فقالوا

(١) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ٢١٧ .

(٢) ذكر النعمان عبدالمتعال أن القصيدة اشتملت على المعاني الآتية: تزويد صاحبه بإقراء سلمى صاحبته تحيته، وأن يذكره عندها ويذكر حبه لها، وأن ينقل إليها خبر قتله رستم . النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ٢١٧ .

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٢٩ .

(٤) انظر : مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص٧٥ . ونشك في صحة هذه الرسالة، لأن الرسول ﷺ لم يأت إلى بلاد السراة وإنما أرسل من قبله من ينشر الإسلام بين أهلها ويحارب الشرك والمشركين هناك .

(٥) مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

(٦) تأبط شراً : هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميل بن عدي، بن كعب بن حزن بن تيم بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، وأمه امرأة يقال لها أميمة من بني القين بطن من فهم . الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص ٢١ .

(٧) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١١ .

له لقد تأبطت شـراً فسـمي بذلك[١]، لذلك هو يتحدث عن لقائه بالغول كثيراً، فمن ذلك قوله:

فـأصـبـحـت الـغـول لي جـارة فـيـا جـار تـالـك مـا أهـولا[٢]

ويعتبر الرثاء من المحاور الأساسية التي يدور شعر تأبط شراً حولها، ويذكر الأصفهاني أنه حينما أغار هو وصاحبه على بجيلة فقتلت بجيلة صاحبه [٣]، فقال في رثائه :

ألا تلكما عرسي منيعة ضمنت من الله إثما مستترا وعالنا
تقول تركت صاحباً لك ضائعا وجئت إلينا فارقاً متباطئا
إذا ما تركت صاحبي لثلاثة أو اثنين فلا أبت آمنا[٤]

ومن عجائب تأبط شراً أنه قتل اثنين من أصحابه[٥]، وأنشد في رثائهما شعراً مؤثراً .

أبعد قتيل العواصي آسى على فتى وصاحبه أو يأمل الزاد طارق
أأطرد نهباً آخر الليل أبتغي علا لة يوم أو تعوق العوائق
لنعم فتى كان رداؤه على سرحة من سرح دومة شانق[٦]

وكان تأبط شراً دائم الإغارة على قبائل السروات مثل خثعم وبجيلة وثمالة[٧]وهذيل ومما قاله في ذلك :

أرى قدمي وقعها خفيف كتحليل الطليم حذار ثاله
أرى بهما عذاباً كل يوم لخثعم أو بجيلة او ثماله
وشراً كان صب على هذيل إذا علقت حبالهم حباله[٨]

---

(١) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١١، الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٥ .

(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨، ص ٢١١ ، الألوسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٤٤ .

(٣) يروي الأصفهاني أن تأبط شراً خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه، فقتل رجل منهم ثم استاق غنماً كثيرة، فنذروا به فتتبعه بعضهم على خيل فلم رآهم عرف وجوههم فقال لصاحبه هؤلاء قوم عرفتهم ولن يفارقونا اليوم حتى يقتلونا ويظفروا بحاجتهم، فجعل صاحبه ينظر فيقول ما أتبين أحداً حتى إذا دهموهما قال لصاحبه اشتد فإني سأمنعك مادام في يدي سهم فاشتد الرجل ولقيهم تأبط . وجعل يرميهم حتى نفدت نبله، ثم أنه اشتد فمر بصاحبه فلم يطق شدة فقتل صاحبه وهو ابن عم لزوجته. الأصفهاني، المصدر السابق ، ج١٨، ص ٢١٥ .

(٤) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٢١٥ .

(٥) خرج تأبط شراً مع اثنين من أصحابه حتى أغاروا على العوص من بجيلة فآذوا نعماً لهم واتبعتهم العوص فأدركهم، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة فلما رأى تأبط شراً أن لا طاقة لهم بهم، شد وتركهم فقتل صاحباه وأخذت النعم، وأفلت حتى أتى عند امرأة من قبيلة فهم، يتحدث إليها فلما أراد أن يأتي قومه دهنته ورجلته، فجاء إليهم وهم يبكون فقالت له امرأته لعنك الله تركت صاحبيك وجئت مدهنا . الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١٦ .

(٦) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٢١٦ .

(٧) انظر : القلقشندي، المصدر السابق، ص ١٩٩ .

(٨) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٢٢٠ ، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ط٢، ص٢١٨.

وبالرغم من أن تأبط كان لصاً فاتكاً[١] إلا أنه كان لا يترك دم صديقه دون أن يثأر له، وأيضاً كان يحترم تقاليد مجتمعه الدينية، فيؤخر انتقامه حتى تنتهي الأشهر الحرم، وأنشد في هذا الصدد قائلا:

فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيل أناس أو فتاة تعانق[٢]

ومن أهم شعراء قبيلة مذحج الأفوه الأودي في نجران[٣] واشتمل شعره على فنون الحكمة حتى عد من حكماء العرب [٤]، وصار شعره يتردد كالأمثال على ألسنة العرب ومن أمثاله السائرة قوله :

إنما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار
وليالية إلا للقوى ومدى قد تجتليها وشعار
وصروف الدهر على أطباقه خلفة فيها ارتفاع وانحدار[٥]

وبلغت حكمته أقصاها في أبياته الآتية :

والبيت لا يبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم تُرس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغو الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد[٦]

يعتبر مقلقل بن شهاب الخثعمي زعيم خثعم من أهم شعراء السروات، وله قصائد متنوعة، ونذكر منها هذه الأبيات وهو يفاخر فيها ببلائه وقتاله للمسلمين أثناء فتح المسلمين لبلاد خثعم، ويقول فيها:

أنا قاتل الشجعان من إنس وجان فتأهبوا يا مسلمين صرامي
وتعجبوا لتصادم الفتيان فلأخذن فتيانكم أسارى
ولأجعلنكم فدا الأوثان وأسقيكم كاس الحمام بصارمي[٧]

وهناك رواية تشير إلى أنه عندما وصلت قوات المسلمين إلى ديار خثعم، أمر

(١) أحمد السكندري وآخرون : المنتخب من أدب العرب، ج٣، ص ٤٦ ( هامش ١) .
(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٢١٦ . يوسف خليف ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .
(٣) الأفوه الأودي : لقب واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحرث بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه، وقيل له الأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان . انظر: الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٠٥( هامش ٢) .
(٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١١ .، الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٥ .
(٥) الألوسي ، المصدر السابق ، ج٣، ص ١٠٥ .
(٦) الألوسي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٠٦
(٧) مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص ١١١ .

مقلقل قومه بالنزول لمواجهة المسلمين، فنزلوا ونصبوا خيامهم [١] وفي هذه المناسبة أنشد مقلقل قائلاً :

اليوم يعرف كل خصم خصمه عند البراز إذا التقى الجمعان
اليوم تختلف القنا عند اللقا وتخوض فيه الخيل كالعقبان[٢]

ومن شعراء خثعم أيضاً بشر بن ربيعة الخثعمي، وله شعر في الفتوح، ومن شعره في حرب القادسية [٣] قوله :

ألم خيال من أمية موهنا وقد جعلت أولى النجوم تغور
ونحن بصحراء العذيب ودارها حجازية أن المحل شطير[٤]

ويعد عمرو بن خثارم البجلي من أهم شعراء قبيلة بجيلة وهو جاهلي[٥]، وتنوعت أغراضه الشعرية بين المدح والفخر وغيره، وقد أنشد في مدح بني أفصى بن نذير بن عبقر بن أنمار البجليين قائلاً :

ألا ما كان مغترباً فإني لغربته على أفصى دليل
يغنون الغنى على غناه وينثر في جوارهم القليل[٦]

ويقول أيضاً :

فإن بلاد قومك قد أتيحت وحل مكانهم حي شطير[٧]

وقال عمرو بن خثارم وهو يذكر نفي بجيلة عن بلادهم من أرض السراة وقتالهم[٨] :

نفينا كأنا ليث دارة جلجل مدل على أشباله يتهمهم
فما شعروا بالجمع حتى بينوا بنية ذات النخل ما يتصرم[٩]

ولم يكن الشعر قاصراً على الرجال في نجران والسروات، بل كانت تنشده النساء

---

(١) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ١١١ .
(٢) مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص ١١١ .
(٣) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ١١١ .
(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٦١ .
(٥) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٤ .
(٦) أبو عبيدة الله محمد بن عمران المرزباني : معجم الشعراء ، عن المجلد الوحيد بتهذيب المستشرق الأستاذ الدكتور سالم الكرنكوى ، عنيت بنشره للطبعة الأولى مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٩٤٢م ، ص ٢٣٦ .
(٧) المرزباني ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .
(٨) انظر:عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط عالم الكتب، لبنان، ج١، ص ٥٩ .
(٩) البكري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٩ .

أيضاً، وليس أدل على ذلك من تلك المرأة التي أسلمت، بينما أنكر زوجها الإسلام، فحاربه الإمام علي بن أبي طالب وأسره[١] بينما لمعت الأنوار على جبين زوجته المسلمة، واستنارت طاعتها، فجعلت تنشد وتقول:

**إن الزمان زماني منه الحزن ... دلني لفراق الأهل والوطن**
**وفاض دمعي على الخدين منهمرا ... ياليت شعري لذاك البين لم يكن**[٢]

وكان زوج تلك المرأة يسمى زهيراً[٣] فدعاه الإمام علي بعد أن سمع كلام تلك المرأة وقال له: إلى زوجتك فإنها قد أسلمت وأمرها إلى ربها، وصارت مطيعة لنا في سائر أمورنا فإن أسلمت أنت الآخر فهي لك، وإن لم تسلم أنت الآن زوجتها لغيرك وهي طالقة منك لأنها تركت عبادة الأصنام[٤]، إلا أن زهيراً العامري أسلم وقال لعلي والمسلمين: سيروا بنا إلى ما تريدون، فها أنا بكم رفيق في كل أمر مضيق، ومحل ما تمضون فإنا معكم [٥] وفرح المسلمون بإسلامه فرحاً شديداً[٦].

## ب) الخطابة والخطباء:

أول من كتب في علم الخطابة هم اليونان[٧] والخطابة فن قديم وجد مع الإنسان، فمتى وجدت جماعة من الناس تتكلم بلسان واحد فسرعان ما يختلفون في آرائهم ومعتقداتهم [٨] ثم يتجادلون ويحاول بعضهم إقناع بعض، ويتسابق النابهون منهم إلى استمالة المخالف[٩]. والخطيب الماهر يتخذ الوسائل المختلفة لإقناع السامعين، ويستعين على الإقناع بالأدلة والبراهين، ثم يحرك عواطفهم لاستمالتهم [١٠]، والخطابة هي فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الإقناع[١١].

وترجع نهضة الخطابة في بلاد نجران وتهامة والسراة في العصر الأموي إلى دواع متنوعة، نذكر منها كثرة الفتوحات السياسية والحروب، واشتداد الخلاف بين الأحزاب التيّ

---

(١) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص ٣٠.
(٢) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٣) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٤) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٥) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٦) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٧) ذكر أبو زهرة أن اليونان هم مستنبطو قواعد الخطابة ومشيدو أركانها وذلك لأن أهل أثينا في عصر بيركليس قويت فيهم رغبة القول، واشتدت فيهم داعيته إذ صار يأسرهم القول البليغ دون سواه. انظر: أبو زهرة، الخطابة وأصولها، ص ١٢.
(٨) أشرف محمد موسى، الخطابة وفن الإلقاء، ص ٧.
(٩) أشرف محمد موسى، المرجع نفسه، ص٧.
(١٠) أشرف محمد موسى، المرجع نفسه، ص٧.
(١١) محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، ص ٢٣٢.

كثرت في ذلك العهد [١] من شيعة وأمويين وخوارج وروافض، [٢] وكان التنازع بين العقائد والمبادئ في أوج قوته [٣]، وتلك الأحزاب استعانت في نضالها بالشعر، إلا أن الخطابة كانت أكثر ممارسة [٤] . نظراً لأن الشعر لا يستطيعه كل إنسان، وقد يترفع عن قوله أولوا الأمر ووجهاء القوم، أما الخطابة فهي سلاح العالم والخلفاء وغيرهم [٥].

لقد ساق دم عثمان تياراً من العصبية على مدى العصر الأموي[٦] ،وأنشبت الحزبية مخالبها في كيان دولة بني أمية وتشعبت فيه الفرق المختلفة[٧]، مثل حركة الخوارج التي استمالت عدداً كبيراً مثل: رفاعة بن شداد [٨]، الذي قاد حركة التوابين[٩]، وخطب خطبة حماسية أشعلت الحماس في نفوس أتباعه قائلا : من أراد الحياة التي ليس بعدها موت، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور الذي ليس بعده حزن فيلقترب إلى الله بقتال هؤلاء "[١٠]، إلى جانب الروافض الذين جذبوا عدداً كبيراً من السرويين مثل مولى بجيلة المغيرة بن سعد[١١]، الذي كان يخطب قائلا. لو شاء الله لآخى عاداً وثموداً وقروناً بعد ذلك كثيرة [١٢]

يعتبر إطفاء الفتنة وإصلاح ذات البين من أهم أغراض الخطابة لدى السرويين، ويظهر ذلك جلياً عندما أبلغ سعد بن أبي وقاص أن طائفة من وجهاء القوم تتهمه بالخور وضعف العزم في حرب القادسية[١٣]، مما أثار غضبه، وحبس أبا محجن الثقفي وغيره

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع نفسه، ص ٢٣٦ .

(٢) الروافض : إنما قيل لهم ذلك لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر، ولم يرفضهما أحد من أهل الأهواء غيرهم، وهم الذين يفضلون علياً على عثمان . أما الرافضة فلها غلو شديد في علي وذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهم السبيئة أصحاب عبد الله بن سبأ . انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص ٢١٨ .

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ٢٣٦ .

(٤) علي محمد حسن، وزكي علي سويلم . الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص ٤١ .

(٥) علي محمد حسن وآخرون، المرجع نفسه، ص٤١ .

(٦) سعيد حسن منصور، القيم الخلقية في الخطابة العربية، ص ١٣٤ .

(٧) سعيد حسن منصور، المرجع السابق، ص ١٣٣ .

(٨) رفاعة بن شداد القتباني : هو رفاعة بن شداد بن عبد الله بن قيس بن جعال بن قتبان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار، انظر:ابن حزم، ص ٣٨٩ .

(٩) ذكر ابن الأثير أن رفاعة بن شداد القتباني حمل راية التوابين بعد مقتل خالد بن نفيل الأزدي . انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٣٤٣، ٣٤٤ .

(١٠) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٤٤ .

(١١) المغيرة بن سعد : هو من الروافض قال الأعمش : دخلت على المغيرة بن سعد فسألته عن فضائل علي، فقال إنك لا تحتملها قلت بلي، فذكر آدم صلوات الله عليه، فقال : علي خير، ثم ذكر من دونه من الأنبياء فقال: علي خير منهم حتى انتهى إلى محمد ﷺ فقال علي مثله فقلت : كذبت عليك لعنة الله قال قد أعلمتك أنك لا تحملها، ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩ .

(١٢) ابن عبد ربه : المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١٩ .

(١٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، وذكر النعمان عبد المتعال أن مصدر الاتهام هو جرير بن عبد الله البجلي وأنشد شعراً ينسب فيه الجبن إلى سعد ومن ذلك قوله :

من الرجال الذين أثاروا الناس عليه وقيدهم بالقصر[١] وذلك مما أثار غضب قومهم من أهل السراة، ولكن سرعان ما احتوى جرير بن عبد الله البجلي غضبه وقال: إني بايعت رسول الله ﷺ على أن أسمع وأطيع لمن ولاه الله الأمر وإن كان عبداً حبشياً[٢]. فسرت هذه الروح في نفوس الجند وسكنت بوادر الفتنة.

وتعد المناسبات الاجتماعية كالزواج والتهاني والتعازي من دواعي الخطابة الأساسية[٣]، وعلى سبيل المثال تهنئة خالد القسري لعمر بن عبد العزيز بالخلافة، وذكر ابن عبد ربه أن خالد القسري، حل على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال: يا أمير المؤمنين من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها[٤]، وأنت كما قال الشاعر:

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا[٥]

ويذكر أن جرير بن عبد الله البجلي نافر خالد بن أرطاة الكلبي[٦]، إلى عالم العرب الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: ما عندك يا جرير فقال: نحن أهل الذهب الأصفر والأحمر والمعتصر نخيف ولا نخاف، نطعم ولا نستطعم، نحن حي لقاح نطعم ماهبت الرياح، نضمن الدهر، ونصوم الشهر، ونحن الملوك القسر[٧]، فقال الأقرع بن حابس واللات والعزى لو نافرت قيصر ملك الروم، وكسرى عظيم الفرس، والنعمان ملك العرب لنفرت عليهم[٨].

أما عن الوفادة، فقد كان جرير بن عبد الله البجلي مبعوث الرسول إلى ملوك اليمن لإقناعهم بالدخول في الإسلام[٩]، وأشار ابن قتيبة إلى أن علي بن أبي طالب أوفده

---

أنا جرير كنيتي أبو عمر قد، فتح الله وسعد في القصر

وقد عرف سعد كيف يرد على شيخ السروات جرير بن عبد الله عندما أشاد ببطولة بعض من أمراء الجيش مثل: القعقاع بن عمرو وجمال الكناني، وقال غير ذلك في بجيلة فقال:

وما أرجو بجيلة غير أني أؤمل أجرها يوم الحساب
وقد لقيت خيولهم خيولا وقد وقع الفوارس في الضراب
فلولا جمع قعقاع بن عمرو وجمال للجو في الكذاب

النعمان عبد المتعال القاضي: المرجع السابق، ص ١٣٧.

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٤٨، النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ١٣٧.
(٢) النعمان عبد المتعال القاضي: المرجع نفسه، ص ١٣٧.
(٣) صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، ص ١٣٣.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص ١٠.
(٥) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠
(٦) الألوسي، بلوغ الأرب، ص ٣٠١.
(٧) الألوسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١.
(٨) الألوسي، المصدر نفسه، ط١، ص ٣٠١
(٩) محمد أمين صالح، تاريخ اليمن السياسي، ص ٤٧

إلى معاوية ليقنعه بالدخول في الجماعة[١]، وعندما قدم جرير على معاوية فقام خطيباً فقال: " ياأيها الناس إن أمر عثمان قد أعيا علياً ومن شهده، فما ظنكم بمن غاب عنه، إن الناس بايعوا علياً، وإن طلحة والزبير كانا ممن بايعا ثم نقضا بيعته، ألا إن هذا الدين لا يحتمل الغبن، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل السيف، وقد كانت ملحمة أن يشفع البلاء بمثلها، فلا بقاء للناس، وقد بايعت العامة علياً لو ملكنا أمرنا لم نختر لها غيره، فمن خالف هذا استعتب، فادخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه، فإن قلت أن عثمان ولاني ولم يعزلني، فإن هذا لو كان لم يقم الله دين، وكان لكل امرئ ما هو فيه " [٢] .

وتعتبر الوفادة من أغراض الخطابة الأساسية في نجران والسروات، ومن أهم سادات السراة الذين كانوا يفدون على الملوك قبل الإسلام والخلفاء بعد الإسلام هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وقد هيأت له خلائقه الجسمانية ذلك حتى كان عمر بن الخطاب إذا رآه يقول الحمد الله الذي خلقنا وخلق عمراً تعجباً من عظمة خلقه[٣] ،حيث كان فارس اليمن [٤]، كذلك كان سيداً وجيهاً في قومه ومن ذوي الرئاسة والزعامة فيهم، فقد كان سيد زبيد قبل الإسلام وبعده [٥]، فيذكر أن عمراً وفد قبل الإسلام على مجاشع بن مسعود السلمي، يسأله الصلة أن يجزل له العطاء فأعطاه حاجته [٦]، فلما خرج من عنده، قال له أهل المجلس كيف وجدت صاحبك[٧] ؟، قال عمرو : " الله بنو سليم، ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأكرم في اللأواء عطاءها، وأثبت في المكرمات بناءها، والله يا بني سليم لقد قاتلتكم ولقد سألناكم، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم، ولقد سألناكم فما أبخلناكم، وأنشد قائلاً :

**فالله مسؤولاً نولا ونائلاً وصاحب هيج يوم هيج مجاشع**[٨]

لم تكن الوفادة على الملوك والخلفاء قاصرة على أشراف نجران والسروات، بل كانت تقوم بها مجموعة من نساء نجران وتهامة والسراة ممن لهن من الشرف والبيان نصيب، وعلى سبيل المثال أم سنان بنت خيثمة، المذحجية[٩]، التي وفدت على معاوية، فدخلت عليه

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٩٩ .

(٢) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص ٩٩ .

(٣) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٥، النعمان عبد المتعال القاضي، ص ١٩٩.

(٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٥، الألوسي، المصدر السابق، ط١، ص ١٢١ .

(٥) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ١٩٩ .

(٦) ذكر ابن عبد ربه أنه كانت بين عمرو وسليم حروب في الجاهلية ثم قدم على مجاشع السلمي بالبصرة يسأله الصلة، فقال له ذكر حاجتك فقال له حاجتي صلة مثلي فأعطاه عشرة آلاف درهم، وفرساً، وسيفاً جراذا، ودرعاً حصينة وغلاماً . انظر: ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٧ . محمود شيت خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص ٢٥٩ .

(٧) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٧، محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص ٢٥٩ .

(٨) المصدر والمرجع نفسهما .

(٩) مذحج : هو مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان، إبراهيم أحمد المقمحي، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص ٣٧٢.

وانتسبت فعرفها فقال لها: " مرحباً يا ابنة خيثمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدناك تشتمينا وتحرضين علينا عدونا[١] ؟ قالت: " إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، وأعلاماً ظاهرة، وأحلاماً وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت"[٢]، ويعتبر قس بن "ساعدة"[٣]، من أشهر الخطباء ذكراً، وأرفعهم قدراً حيث روى رسول الله من كلامه [٤]، وفي الحديث " يرحم الله قساً، إني لأرجوه يوم القيامة أن يبعث أمة وحده "[٥]، وقس بن ساعدة أسقف نجران [٦]، وكان من القسيسين الذين يترددون على أسواق العرب[٧]، ويعظون ويبشرون ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار، وذكر الأصفهاني أن قساً كان له كثير من الأمور العجيبة[٨]، ويشير الألوسي إلى أن قساً كان له باع طويل في الشعر والخطب وسائر فنون الكلام[٩]، وقد اجتمع له مالم يجتمع لغيره من فنون الفصاحة والشعر والحكمة[١٠]، فكان شاعراً وخطيباً، بل يعد خطيب العرب قاطبة[١١]، وذكر الأصفهاني أنه أول من علا على منبر وخطب عليه، وأول من قال في كلامه ( أما بعد )، وأول من اتكأ عند خطبته على عصاه [١٢]، وأشار صلاح الدين إلى أن الرسول ﷺ كان يستمع إلى قس

---

(١) ذكر ابن عبد ربه أن سبب توجه أم سنان إلى معاوية أن مروان بن الحكم والي المدينة حبس غلاماً من بني ليث في جناية جناها، فأتته جدة الغلام أم أبيه، وهي أم سنان بنت خيثمة المذحجية فكلمته في الغلام فأغلظ لها مروان، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها . انظر: ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٦ .

(٣) قس بن ساعدة: هو قس بن ساعدة بن عمرو، وقيل عمرو بن عدي بن مالك بن النمر بن نهدم بن دعمي بن إياد خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها وحكمها في عصره . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٤١ .

(٤) الألوسي : بلوغ الأرب، ج٣، ص٥٥ .

(٥) الألوسي: المصدر السابق، ج٣، ص ٥٥ .

(٦) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٦ .

(٧) ذكر أحد الباحثين أن العرب لم يكن همهم من بعض أسواقهم النواحي المادية فحسب، بل كانوا يتسابقون بالخيل، وينشدون فيها الأشعار، ويقومون فيها بألوان من اللعب، وكانوا يفخرون ويتنافرون ويخطبون . على محمد حسن، انظر: التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي، ص٤٣ .

(٨) انظر: الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ١٤، ويذكر أن رجلاً قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجباً قال: ما رأيت قال: بينما أنا بجبل يقال له سمعان في يوم شديد حره إذا أنا بقس بن ساعدة تحت ظل شجرة عند عين ماء، وعنده سباع كلما أز سبع منها على صاحبه ضربه بيده، وقال كف حتى يشرب الذي ورد قبلك، قال ففرت، قال : لا تخف، وإذا بقبرين بينهما مسجد، فقلت له ما هذا القبران ؟ قال: هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا، فاتخذت بينهما مسجداً أعبد الله وجل فيه حتى ألحق بهما ثم أنشد يقول :

خليلي هبا طالما قد رقدتما ... أحداكما لا يقضيان كراكما
ألم تعلما أني بسمعان مفرج ... ومالي فيه من حبيب سواكما

انظر : الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص٤٢٣ .

(٩) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٢ .

(١٠) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢، على محمد حسن، المرجع السابق، ص ١١٣ .

(١١) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤١، علي محمد حسن، المرجع السابق، ص ١١٣ .

(١٢) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤١ .

بسوق عكاظ قبل البعثة[١] .

وكان يبشر بالدين الإسلامي ويدعو إلى الإيمان به، وذكر الأصفهاني أنه قال: " ما على وجه الأرض من دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن خالفه[٢]، ثم أنشد يقول :

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر[٣]

ونتيجة لذلك ظل أثر قس ماثلاً في نفس الرسول ﷺ بعد مبعثه[٤] .

ولعل من أهم خطب قس بن ساعدة خطبته التي جاء فيها : " أيها الناس اسمعوا وعوا، انظروا واذكروا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، على أن أبلغ العظات السير في الفلوات، والنظر إلى محل الأموات، إن في السماء لخبرا ! وإن في الأرض لعبرا، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام؟ أم تركوا هناك فناموا، يا معشر إياد أين الآباء والأجداد ؟ أين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد، أين من بنى وشيد وزخرف ونجد، وغره المال والولد ؟ أين من طغى وبغى، وجمع فأوعى، وقال أنا ربكم الأعلى، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا ؟ وأطول منكم آجالا " [٥] .

أما "الحرث بن كعب المذحجي " فقد كان من أفصح خطباء زمانه [٦]، ومن أهم خطبه تلك الخطبة التي قالها عندما حضرته الوفاة فجمع بنيه، وقال : " يا بني قد أتت علي ستون ومائة سنة ما صافحت بيميني يمين غادر، ولا قنعت نفسي بحلة فاجر، ولا بحت لصديق بسر، وإني لعلى دين شعيب النبي ( عليه السلام ) ، فاحفظوا وصيتي، وموتوا على شريعتي ... إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم "[٧]، يابني كونوا جمعا لا تفرقوا فتكونوا شيعا فتضعفوا، وأن موتا في عز، خير من حياة في ذل وعجز، وكل ما هو كان كائن، وكل جمع إلى تباين، والدهر دربان فدرب رخاء، ودرب بلاء، واليوم يومان : فيوم حبرة [٨]، ويوم عبرة، والناس رجلان فرجل معك، ورجل عليك، وزوجوه

---

(١) صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص ١٣٤ .
(٢) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤٢ .
(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤، ص٤٢، الألوسي ، المصدر السابق ، ج٣، ص ١٢٢ .
(٤) صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص ١٣٤ .
(٥) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤٢، إيليا حاوي : المرجع السابق، ص ٥٣، ٥٤ .
(٦) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٤ .
(٧) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٦٤ .
(٨) حبرة : فرح وسرور . الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٤ .

الأكفاء، وليستعملن في طيبهن الماء، وإياكم والورهاء، وتجنبوا الحمقاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون[١]، وإذا اختلف القوم مكنوا عدوهم منهم، وآفة العدد اختلاف الكلمة ...، وقطيعة الرحم، تورث الهم، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين، يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد" [٢].

كما يعتبر " سحبان وائل الباهلي " من أعظم خطباء السروات[٣]، ويضرب به المثل في البيان، فكانوا إذا أرادوا مدح إنسان بذلك قالوا : هو أخطب من سحبان بن وائل "[٤]، وليس أدل على ذلك من أنه دخل على معاوية، فخطب من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا توقف[٥]، فقال له معاوية : إنك أخطب العرب [٦]، وإذا كان معاوية يعده خطيب العرب فهو يعد نفسه أخطب العرب والعجم والإنس والجن[٧]، وأنشد وائل باهلة في نفسه:

**لقد علم اليمانيون أنني إذا قلت " أما بعد " أني خطيبها**[٨]

وهو الذي قال لطلحة الطلحات الخزاعي [٩].

**يا طلح أكرم بها حسنا و أعطاهم لتالد**
**منك العطاء فأعطني وعلى مدحك في المشاهد**[١٠]

ويعتبر جرير بن عبد الله البجلي من أشهر خطباء السروات في العهد الأموي، ويشير ابن قتيبة إلى أنه عندما تولى الخليفة علي بن أبي طالب الخلافة، عزل جميع ولاة عثمان ما عدا جرير بن عبد الله، فأبقاه على همذان، وطلب بيعته وبيعة همذان[١١]، ومما

---

(١) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٦٥ .

(٢) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٦٥ .

(٣) سحبان بن وائل : هو سحبان بن إياس الوائلي، وائل باهلة، أدرك الجاهلية، وأسلم ومات سنة أربع وخمسين هجرية، انظر: الألوسي، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ص ٧٢ .

(٥) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٥ .

(٦) ذكر الألوسي أن معاوية أشار عليه أن يتوقف، وأشار عليه سحبان ألا تقطع كلامي ! فقال معاوية الصلاة ! فقال : هي أمامك ونحن في صلاة وتحميد، ووعد ووعيد، فقال معاوية : أنت أخطب العرب . فقال سحبان والعجم والإنس والجن. انظر: الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٦ .

(٧) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٥٦.

(٨) الميداني ، مجمع الأمثال ، ص ٧٢ ، الألوسي ، المصدر السابق ، ج٣، ص ١٥٦ .

(٩) طلحة الطلحات الخزاعي : هو أحد الأجواد المشهورين في الإسلام واسمه طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وأضيف إلى الطلحات لأنه فاق في الجود خمسة أجواد، اسم كل واحد منهم طلحة، وهم : طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجواد، وطلحة الدراهم، وطلحة الندى، وقيل كان في أجداده جماعة اسم كل منهم طلحة. الميداني، المصدر السابق، ص ٧٢، الألوسي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٧ .

(١٠) الميداني ، المصدر السابق ، ص ٧٢ ، الألوسي ، المصدر السابق ، ج٣، ص ١٥٧

(١١) ابن قتيبة، الأمة والسياسة، ص ٩٥ .

قالـه في خطبـة يدعو فيها إلى بيعة همـذان للخليفة علي بن أبي طالـب " هذا كتاب أمير المؤمنـين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الديـن والدنيا، وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم . والحمد لله على قضائه، وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، ولو جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان عليّ أحق بها، ألا وإن البقـاء في الجماعة والفناء في الفرقة، وعلي حاملكم على الحق ما اسـتقمتم له فإن ملتم أقام ميلكم[١] .

ويعـد خالـد بـن عبد الله القسـري، مـن أبـرز خطبـاء السـراة في العهـد الأموي، وكانـت خطبه تدور حول الدعوة إلى الطاعـة [٢]، ومما قاله في ذلك : " أيها الناس، إنكم بأعظـم بـلاد الله حرمة، وهي التي اختار الله من البلدان، فوضـع بها بيته، ثم كتب على عباده حجه من اسـتطاع إليه سبيلاً ، أيها الناس فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، وإياكم والشـبهات، فإني والله ما أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا صـلبته في الحرم، إن الله جعل الخلافـة منه بالموضـع الذي جعلها فسـلموا وأطيعوا، واعلموا أنه بلغنـي أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم ويقيمون في بلادكم، فإياكم أن تتركوا أحداً ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة، فإني لأجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله، فانظروا ممن تنزلـون في منازلكم وعليكم بالجماعة والطاعة فإن الفرقة هي البلاء العظيم "[٣]، ويذكر الأزرقي أن الخليفة سـليمان بن عبد الملك أمر خالد القسـري أن يحفر له بئراً يشـبه بئر زمزم فقام بحفرها ثم دعا الناس وقال لهم : " أيها الناس . أحمد الله تبارك وتعالى وادعوا لأمير المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب الزلال النقاح، بعد الماء الملح الأجاج الذي لا يشرب إلا صبراً يعني زمزم "[٤] .

أمـا دور الخطابـة في التحريض علـى القتال فقد اتخذ أشـكالاً متنوعة قبل الإسـلام وبعده، فبينما كان قبل الإسـلام يحرض الخطباء القبائل على قتال بعضهم بعضاً لأغراض واهية[٥]، وبعد الإسلام تحول التحريض إلى الجهاد لإعلاء كلمة الله، ويتضح ذلك في خطبة

---

(١) ابن قتيبة، المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

(٢) سعيد حسين منصور، القيم الخلقية في الخطابة العربية، ص ١٣٤ .

(٣) إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص ٤٧٤ .

(٤) الأزرقي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٨، يحيى بن قاسم : المصدر السابق، ص ١١٥، وذكر إيليا حاوي رواية فيها شيء من المغالاة والافتراء على خالد القسري بل والتحريف وهي " إن خالد القسري من غلوه أنه خطب على منبر مكة، فقال أيها الناس، أيهما أعظم، الخليفة الرجل على أهله، أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة، إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسـقى ربه، فسـقاه ملحاً أجاجاً، واستسقاه الخليفة فسقاه عذباً فراتاً، يعني بئراً حفرها للوليد فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم . انظر: كتاب : فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص ٤٧٥ .

(٥) ذكـر البكـري أنه تيامنت قبائـل من ربيعة إلى بلاد اليمن فحالفت أهله وبقوا على أنسـابهم منهم أكلب بن ربيعة بن نزار نزلت ناحية تثليث من اليمن وما والاها فجاورت خثعم، وحالفوهم، وأقامت سـائر قبائل ربيعة في أطراف نجران وتهامة حتى وقعت الحرب بينهم في قتل جساس بن مرة، وأخذت الحروب والوقائع تنفيهم من بلد إلى بلد وتنفيهم من أرض إلى أرض . انظر : كتاب: معجم ما استعجم، ص٨٠ .

جرير بن عبد الله البجلي في معركة البويب، وهو يحرض قبيلة بجيلة على قتال الفرس فقال: "يامعشر بجيلة إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل - أي الغنائم - مثل الذي لكم منه، ولكم ربع خمسه نفلاً من أمير المؤمنين، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه، فإنما تنظرون إحدى الحسنيين الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة"(١).

ويشير الطبري إلى أن خطيب زبيد عمرو بن معد يكرب، أخذ يمر بين صفوف المسلمين، ويحرضهم على قتال الفرس في معركة القادسية ويقول: "يا معشر المهاجرين، كونوا أسوداً، ثم حمل على رجل من الفرس فذبحه، ثم قال هكذا اصنعوا بهم"(٢).

## ج- الطب والأطباء:

احتل العرب المكانة الأولى في الطب فظلوا على رأس المعرفة بالطب طيلة أكثر من خمسمائة عام(٣)، وقد ورد في حديث منسوب إلى النبي ﷺ أن دراسة الطب ودراسة الدين هما الشقان الأساسيان للمعرفة(٤). وعدد الأحاديث الطبية الموروثة عن النبي ﷺ حوالي ثلاثمائة حديث، جمعت في كتاب: تحت عنوان: الطب النبوي، وتوصي هذه الأحكام عامة بالقناعة، وتفرض التطبيق العملي لعلم الصحة والنظافة(٥) والطب من العلوم الهامة في كل زمان ومكان، لما له من صلة بحياة الإنسان، وذكر بعض علماء اللغة إن الطب بمعنى السحر"(٦)، حيث كان هناك صلة بين الطب والسحر، فالساحر يداوي المرض ويشفي المريض بسحره، وكذلك كان الطبيب يداوي المريض(٧).

وقد اشتهر أبناء السروات ونجران بممارسة الطب مثل الشمردل(٨)، وهو من أعظم أطباء بني الحارث بن كعب بنجران، ويشير الطبري أنه قدم على الرسول ﷺ ضمن وفد بني الحارث بن كعب الذي قدم المدينة سنة (١٠هـ /٦٣١م) (٩)، وطلب من الرسول ﷺ وضع ميثاق لمهنة الطب (١٠)، وبعد أن وضع الرسول ﷺ ميثاق الطب

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٦٩ .
(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٧٦ .
(٣) جاك . س . ريسلر، الحضارة الإسلامية، ص ١٩٣ .
(٤) جاك . س. ريسلر، المرجع نفسه، ص ١٩٣ .
(٥) جاك .س . ريسلر، المرجع نفسه، ص ١٩٣
(٦) جواد علي، ج٨، ص ٣٨٠ .
(٧) جواد علي، ج٨، ص ٣٨٠ .
(٨) الشمردل : هو الشمردل بن قباب الكعبي النجراني، انظر: أحمد شوكت، الطب عند العرب، ج١، ص ٣٦.
(٩) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٧ .
(١٠) ذكر أحمد شوكت أن الشمردل قال يا رسول الله إني كنت كاهن ( طبيب ) قوي في الجاهلية، وأني كنت الطبيب فما يحل لي؟ فقال رسول الله ﷺ فصد العرق، ومجسة الطعنة إن اضطررت، ولا تداو أحداً حتى تعرف داءه" أحمد شوكت: المرجع السابق، ص ٣٥ .

لأطباء نجران والسراة وعموم العرب، قال له الشمردل "والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني[١] .

لاشك أن شهادة أطباء نجران والسروات لرسول الله ﷺ كطبيب تؤكد إن الرسول ﷺ كان على درجة عالية في مجال الطب[٢] . ويؤكد ذلك ما ذكره أصحاب الرسول ﷺ من انه كان يديم التطبيب، وكان يأمر بالحمية، وينهى عما يؤذي، ويصف الأدوية، ويحدث في حفظ الصحة[٣]، وقد تعلمت منه الطب زوجته عائشة، حتى قال هشام بن عروة "ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة"[٤]، تشير المصادر التاريخية إلى أنه عندما دخل علي بن أبي طالب والعباس على عمر بن الخطاب بعد أن أصابه أبو لؤلؤة المجوسي [٥]، فقال لهم : لا تعرني أنت وأصحابك[٦]، ثم قال : يا عبد الله خذ رأسي عن الوسادة فضعه على التراب لعل الله ينظر إليّ فيرحمني [٧]، ثم دعي له طبيب من بني الحرث بن كعب بنجران[٨]، ولم تكن مهنة الطب قاصرة على بني الحارث بن كعب بنجران، بل عرفت بها قبائل أخرى من بلاد السراة مثل الأزد وبطونها المتعددة، ولاسيما أزد شنوءة [٩]، وجرش، وأنمار[١٠] .

ولعل من أعظم أطباء أزد شنوءة هو ضماد بن ثعلبة الأزدي، قدم مكة معتمراً، فسمع رجال قريش يقولون محمد مجنون [١١] . فقال لو أتيت هذا الرجل فداويته[١٢] .فجاءه فقال يا محمد إني أداوي من الريح فإن شئت داويتك، فتشهد رسول الله وحمد الله وتكلم بكلمات[١٣] فأعجب ذلك ضماداً وقال: لقد سمعت كلام الكهنة، والسحرة، والشعراء، فما سمعت مثل هذا قط[١٤] . ومن أطباء جرش نافع

---

(١) أحمد شوكت، المرجع نفسه، ج١، ص ٣٦ .

(٢) يروى أن النبي ﷺ كان يداوي نفسه ويأمر بذلك لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، وكان غالب أدويته مفردة لا مركبة، تماشياً مع القاعدة التي مازالت متبعة حتى الآن، وهي العدول عن الدواء المركب إذا كان الحصول على الشفاء ممكناً بالدواء المفرد " انظر: أحمد شوكت، المرجع السابق، ص٣٧ .

(٣) أحمد شوكت، المرجع نفسه، ص٣٦ .

(٤) أحمد شوكت، المرجع نفسه، ص٣٦ .

(٥) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٢٣٩ .

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٧ .

(٧) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٧ .

(٨) بنو الحارث بن كعب : هو بنو الحارث بن كعب بن جلد بن مذحج الهمداني : الإكليل، ج١، ص ١٣٢ ( هامش ٤) .

(٩) أزد شنوءة : ويقال له شنوءة باسم أبيهم، بطن من الأزد من القحطانية وهم بنو نصر بن الأزد، وبنو شنوءة هم الذين يقال لهم أزد شنوءة، انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ص ٣٠٨ .

(١٠) هو أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، أخي الأزد . انظر: ابن حزم، ص ٣٨٧ وذكر ابن جلجل، أن أحد أصحاب الرسول ﷺ دخل عليه وبه جرح وكان حاضراً عند حي من أنمار، فطلب الرسول ﷺ من أطباء السراة أن يعالجوه " للمزيد انظر: أبوداود سليمان ( ابن جلجل)، طبقات الأطباء، ص٥٤.

(١١) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص ٢١٠ . أحمد شوكت، المرجع السابق، ص ٢٩ .

(١٢) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص ٢١٠، أحمد شوكت، المرجع السابق، ص ٢٩٠ .

(١٣) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص٢١٠، أحمد شوكت، المرجع السابق، ص٢٩ .

(١٤) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص٢٩، أحمد شوكت، المرجع السابق، ص ٢٩ .

الجرشي[١]، وقد آمن بالرسول ﷺ[٢] وذكر ابن جلجل أنه قال يارسول الله: أفي الطب خير؟ قال: نعم أنزل الدواء من أنزل الداء[٣].

## ٣. العمارة والفنون:

تعددت أنواع العمارة في بلاد نجران وتهامة والسراة نظراً لتنوع الدور الوظيفي لها، فكان منها العمارة الإسلامية الممثلة في المساجد والزوايا الدينية، ومنها العمارة المسيحية المتمثلة في الكنائس والأديرة، كما كان للوثنيين عمائرهم المتمثلة في دور العبادة الخاصة بهم مثل الكعبة اليمانية[٤]. المسماة ببيت ذي الخلصة[٥]. ونلاحظ أن العمائر العسكرية المتمثلة في الحصون والقلاع متنوعة في أرض السروات.

أما العمارة الإسلامية، فيعتبر المسجد هو النموذج الأول للعمارة الإسلامية[٦]، فله منزلة عميقة في نفوس المسلمين، لأنه موضع اجتماع المسلمين فيه خمس مرات في اليوم لإقامة شعائر الصلاة[٧]، إلى جانب أنه مركز نشاطات متعددة الجوانب من دينية وثقافية واجتماعية وسياسية[٨]، ففي المساجد كانت تؤخذ البيعة للخلفاء، وعلى منابرها تلقى خطبهم الأولى التي تحدد منهاج كل منهم وطريقته في تسيير دفة الحكم[٩]، وأيضاً كانت أحياناً مقراً لإدارة الدولة، فكان الرسول ﷺ يستقبل الوفود والأفراد في مسجده بالمدينة ويرحب بهم ويجيزهم بالأموال والإقطاع[١٠]، وفي المسجد كانت تعلن أنباء الحروب والانتصارات، ويستنفر المجاهدون للقتال[١١]، وكان داراً للندوة يجتمع فيه للدرس[١٢]، وفيه يعقد القاضي جلسات محكمته فيقضي بين الناس[١٣].

فالمسجد كان بمنزلة مركز إشعاع ديني وعلمي واجتماعي قوي يعتبره كل مسلم بيت

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٧.
(٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٧.
(٣) ابن جلجل، المصدر السابق، ص ٥٤.
(٤) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٦٤.
(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٢٧٠، ٢٧١.
(٦) ذكر سعد زغلول أنه كان له تأثيره على غيره من العمارات الدينية والعسكرية والمدنية، ويرجع تخطيط المسجد الجامع ذي الصحن المتوسط، الذي تكتنفه البوائك بأعمدتها وأقواسها، والذي يمد بيت الصلاة بالضوء والهواء إلى تخطيط الدار السكنية القديمة ذات الفناء الأوسط المكشوف الذي تحيط به الفرق من جوانبه الأربعة، انظر: سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص ٢٠٨.
(٧) محمد إبراهيم، الفن والعمارة عند العرب، ص ٢٢.
(٨) محمد إبراهيم، المرجع نفسه، ص ٢٢.
(٩) محمد إبراهيم، المرجع نفسه، ص٢٢
(١٠) محمد أمين صالح، تاريخ اليمن السياسي، ص ٤٧
(١١) محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٢.
(١٢) علي حسني الخربوطلي، الحضارة الإسلامية العربية، ص ٢٧٥.
(١٣) علي حسني الخربوطلي، المرجع نفسه، ص ٢٧٥، محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٢، ٢٣.

الله[١]، فلا مبالغة في اهتمام قبائل نجران وتهامة والسراة التي دخلت في الإسلام ببناء المساجد باعتبارها رمزاً للإسلام، ويذهب الأزرقي إلى أن المساجد كانت منتشرة في بلاد السروات ويتضح ذلك حينما سأل الرسول ﷺ جرير بن عبد الله البجلي عن أحوال الإسلام في السراة فقال له : يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام وأظهر الأذان في مساجدهم [٢] ومن نماذج مساجد السراة مسجد تبالة، وذكر الأزرقي أن مسجد تبالة تم بناؤه قبل وفاة الرسول ﷺ بشهرين سنة (١٠هـ /٦٣١م) [٣]، وكذلك بيت ذي الخلصة [٤] ويشير ياقوت إلى أنه بنى في موضع ذي الخلصة مسجداً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم [٥]، إلا أن الثابت في المصادر التاريخية مثل الأزرقي وابن الكلبي أن جريراً هدم الصنم وبنى المسجد محله[٦] ولكن لم تذكر هذه المصادر بأن جرير هدم بيت ذي الخلصة كاملاً [٧]، وأغلب الظن أن أهل السراة اتخذوا هذا البيت مكاناً للمسجد، وهناك مسجد آخر قد أمر عمر بن الخطاب ببنائه في قرية الأخدود ببلاد نجران[٨] .

أما العمارة المسيحية فهي تتمثل في الكنائس والأديرة ومن نماذج الأديرة المسيحية، في السراة دير نجران[٩]، ويرجع تاريخ تشييده إلى عصر آل عبد المدان بن الديان من بني الحارث بن كعب، وكانوا قد بنوه مربعاً مستوي الأضلاع والأقطار مرتفعاً عن الأرض يصعد إليه بدرجة مثل بناء الكعبة[١٠] كما طعموا حيطانها وسقوفها بالفسيفساء والذهب[١١] والملاحظ على بناء دير نجران الإتقان والغنى الوفير. أما عمائر الوثنيين فكانت منتشرة في السروات قبل الإسلام وبعده، بل إن بعضها استمر قائماً لفترة من الزمن في العصر الإسلامي [١٢] .

كما سجل الفنانون في نجران وتهامة والسراة تعبيراتهم الفنية على لوحات حجرية

---

(١) محمد إبراهيم، المرجع نفسه، ص٢٢، ٢٣

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٠ .

(٣) الأزرقي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨٠ .

(٤) الأزرقي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨٠ .

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٥٣ .

(٦) ابن الكلبي، المصدر السابق، ص٣٤، الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٠، ياقوت : ال مصدر السابق، ج٣، ص٥٣ .

(٧) يذكر أن البجلي لم يقم بهدم بنيان ذي الخلصة كله لضخامته، وأنه اكتفى بهدم الأوثان التي كانت فيه، وبقاء الجدران قائمة، ولما استولى جلالة الملك عبد العزيز الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية على الحجاز في عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) عين عبد العزيز بن إبراهيم أميراً على مقاطعة الطائف، وانتدبه لإخضاع القبائل القاطنة في سراة الحجاز، وبعد أن أخضعت الحملة قبائل زهران، خرجت إلى جبال دوس في شهر ربيع الآخر عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م ) وكان في جدران بنيان ذي الخلصة التي لازالت قائمة، فهدمتها ورمت بأنقاضها، ويقول أحد الذين رافقوا الحملة، إن بنيان ذي الخلصة كان ضخماً بحيث لا يقوى على زحزحة الحجر الواحد منه أقل من أربعين شخصاً، وإن متانته تدل على مهارة وحذق في البناء، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٢ .

(٨) البكري، المصدر السابق، ج١، ص ٦٠٢ .

(٩) البكري، المصدر السابق، ج١، ص٦٠٢ .

(١٠) علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام، ص ١٥٧ .

(١١) البكري، المصدر السابق، ج١، ص ٦٠٢ .

(١٢) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٢ .

كبيرة في شكل تماثيل متنوعة، وشكلت التماثيل من مواد مختلفة بعضها من خامات طبيعية كالحجر[١] بأنواعه المختلفة والخشب[٢]، وصنع بعض منها من الطين، أو الطين المحروق ( الفخار )، والتصوير من الأمور النادرة جداً في أرض السراة قبل الإسلام وبعده، ويغلب على الظن أن الفنان في هذه البلاد قبل الإسلام فضل أسلوب النحت، والنقش، لأن النحت أبقى على مر الزمن، وفيه تبدو الأشكال مجسمة بعض الشيء، بينما التصوير بعد الإسلام من الأمور المحرمة [٣] . ونتيجة لذلك سوف نكتفي بالتماثيل التي صنعت من منتجات الفنون الصناعية لأغراض متنوعة، أهمها الغرض الديني[٤] .

وقد تنوعت أشكال الآلهة في نجران والسروات، حيث مثلت الآلهة على شكل الإنسان مثل فراش[٥] . وأخرى على شكل حيوان، مثل يغوث كان على صورة أسد[٦]، وبعضها من حجر مثل نهم[٧]، وأخرى من خشب مثل ذي الكفين[٨] . وصنم فراش يرجع إلى عهد زعماء ووجهاء خثعم قبل الإسلام، الذين استطاعوا أن يوجهوا حانباً كبيراً من إمكانات وفنون أهلها إلى التطور بما كانوا يستحبونه لأنفسهم من قصور ومعابد وتماثيل، ويذكر أحد المصادر أن زعماء خثعم، أمروا بإحضار الصناع وقالوا لهم نريد منكم أن تصنعوا صنماً كبيراً، ومالبثوا أن صنعوا لهم صنماً سموه فراش . وأصبح هو دين بلاد خثعم الرسمي[٩] .

أما ذي الخلصة فيعتبر من قمم الأعمال الفنية في السراة، وهو حجر أبيض[١٠]،

---

(١) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، ص ١٩١ .

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٨ .

(٣) ذكر علي حسني الخربوطلي أن العرب لا يزالون حديثي عهد بالدين الإسلامي فقد منعوا من إظهار عبقريتهم في فن التصوير " انظر: علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص٢٩٠، وانظر سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ص ٥١١، وذكر جمال سرور أن الوثنية شاعت في بلاد العرب قبل الإسلام، وقد قامت الوثنية على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة الأرض والسماء والنجوم، ولما كان العرب يعتقدون بوقعهم في حياتهم تحت تأثيرها لذلك حرصوا على إرضائها، اجتلاباً لخيرها، فاتخذوا لها أشكالاً مختلفة من أحجار مصورة تمثل إنساناً أو حيواناً، وأخرى غير مصورة، ومن ثم أصبحت معبودات لهم " . انظر: محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ص٤٨.

(٥) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٠ .

(٦) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ١٤٩ .

(٧) جواد علي، المرجع السابق، ج، ص ٢٧٧ .

(٨) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٨، ٣٨٩ .

(٩) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٠ .

(١٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٠٧، جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٧١، ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص ٨٦، صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ج١، ص ١٩١ .

منقوش عليه كهيئة التاج[١]، وكان في تبالة بين مكة واليمن[٢]، بينما تشكيل ذي الكفين[٣]، يختلف عن غيره من الأصنام، فقد كان صنماً مصنوعاً من الخشب [٤]، وربما أنه ليس من الأصنام القديمة، ويتضح من ذلك قول الطفيل فيه :

**يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا**
**أني حشوت النار في فؤادكا[٥]**

بينما يذهب ابن حزم إلى أن ذا الكفين عبارة عن صخرة مربعة وطويلة، ارتفاعها أربعة أقدام وطولها قدمان [٦]، والملاحظ أن الشعر الذي أنشده الطفيل يوضح أنه أحرقه بالنار، ومعنى هذا أنه لم يكن صنماً من حجر . إنما كان من خشب [٧] .

أما صنم يغوث فهو من أصنام السروات ونجران القديمة منذ عهد نوح عليه السلام[٨]، وقد ورد ذكره في القرآن ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾[٩]، وتشير المصادر التاريخية إلى أن يغوث كان على صورة أسد[١٠]، بينما كان من الأصنام الهامة التي يقام لها الأعياد كل عام [١١]، وكان تشكيل صنم نهم من الحجارة، ونستدل على ذلك من أنه حينما سمع الخزاعي بن عبد نهم، سادن الصنم بالرسول ﷺ سار إلى الصنم فكسره [١٢] .

أما العمائر العسكرية والحصون والقلاع فمنتشرة في عموم بلاد السروات، وتشير إحدى الروايات إلى أن بلاد السراة ونجران كانت مقسمة إلى عدة قلاع وحصون وكل حصن له باب وكان الباب من الحجارة السوداء [١٣] ، وكل حصن له أسوار عالية، ومعظم الأسوار محصنة بالصخور والمنجنيق [١٤] . وأحياناً يحارب أبناء نجران والسراة أعدائهم من وراء الأسوار[١٥] .

---

(١) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٦٤، جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٧١ .
(٢) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص٩٨، علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام ، ص ١٥٢ .
(٣) ذو الكفين : كان لخزاعة ودوس كسره عمرو بن حمحمة الدوسي، انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٤ .
(٤) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٨، ٣٨٩ .
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٨٦ .
(٦) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٩٤ .
(٧) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٨، ٣٨٩، جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٧٤، ٢٧٥ .
(٨) محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ص٤٩ .
(٩) سورة نوح، الآية رقم (٢١) .
(١٠) احمد عبد الحميد الشامي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٧٤، علي إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص١٤٩ .
(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٧٧ .
(١٢) ابن الكلبي، الأصنام، ج١، ص ٣٧٠ .
(١٣) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ٧٨ .
(١٤) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ٨١ .
(١٥) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ٨١ .

## سادساً : آراء ووجهات نظر :

الباحث في بلاد نجران وتهامة والسروات يجد الكثير من الحقب والأزمان الغامضة، فلا تاريخ ولا حضارة مدون عنها، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان منذ قديم الزمان . وإذا نظرنا في عصور ما قبل الإسلام، وفي القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وجدناها من تلك الفترات المجهولة تاريخياً . وفي هذا القسم حاولنا إلقاء الضوء على بعض المظاهر الحضارية لهذه البلاد في العصور السابقة للإسلام، وفي العهود المبكرة من عصر الإسلام، ولا ندعي استكمال كل الجوانب التاريخية الحضارية في تلك الحقبة، لكننا نسعى إلى فتح أبواب ومنافذ للباحثين الجادين الذين قد يدرسون أحوال وتواريخ هذه الأوطان في العصور القديمة والوسيطة والحديثة .

## وهناك الكثير من النقاط والمحاور المهمة والجديرة بالبحث والدراسة، ونذكر منها على سبيل المثال:

١. التاريخ الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو العلمي الثقافي التربوي في بلاد نجران والسروات خلال الخمسين أو المئة عام السابقة لظهور الإسلام .
٢. تراجم للأعلام والأشخاص الذين برزوا في أرض نجران وتهامة والسراة في القرن السابق لظهور الإسلام .
٣. حبذا أن نرى دراسات تاريخية أثرية لصناعات، وتجارات، وحرف وأسواق، وقرى، وطرق، وحصون ومنازل، وأدوات منزلية واقتصادية عرفها واستخدمها التهاميون والسرويون في العهد الجاهلي أو خلال القرون الإسلامية العشرة الأولى . ومن المؤسف أن لدينا في جنوبي البلاد السعودية حوالي خمس جامعات ( الملك خالد، وجازان، والباحة، ونجران، وبيشة ) ولا يوجد في أي واحدة منها قسم علمي جيد للآثار والتنقيب والحفريات، وهذا فعلاً أمر مخجل لهذه المؤسسات التعليمية، مع العلم أن بلاد نجران وتهامة والسراة من الأوطان العريقة في تاريخها وآثارها وحضارتها، ونحمل المسؤولية هذه الجامعات الآنف ذكرها فتدرس وتبحث عما يوجد في باطن وظاهر هذه البلاد التاريخية الحضارية .
٤. إذا ألقينا النظر على لغات ولهجات ومصطلحات سكان نجران وتهامة والسراة وجدناها أيضاً ميداناً واسعاً تحتاج إلى دراسات أكاديمية علمية .
٥. أما صلات أجزاء هذه البلاد بعضها ببعض أو مع ما جاورها من البلدان والحواضر فهو من الأبواب الكبيرة التي تحتاج إلى دراسة في شتى الجوانب الاقتصادية والثقافية والحربية العسكرية والدبلوماسية.
٦. دراسة التغيرات الاجتماعية والعقلية والفكرية والدينية في أرض نجران وتهامة والسروات قبيل وفي أثناء ظهور رسالة الإسلام، وكيف تحول سكان هذه البلاد من عبادة الأوثان أو ديانات أخرى إلى دين الإسلام، ثم ما جرى من تحولات على قيم

ومبـادئ وأخـلاق وعقائـد أهل البـلاد بعد دخولهم الإسـلام . وهـذه الفترة جديرة بالدراسـة عندما تحولت البلاد ( أرضـاً وسـكاناً ) إلى مجتمعات إسلامية دستورها القرآن وسنة الرسول ﷺ ( والله من وراء القصد ) .

## سابعاً : قائمة المصادر والمراجع :


١- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم . أسد الغابة في معرفة الصحابة ( بيروت : دار إحياء التراث العربي، د. ت ) .
٢- ابـن الأثير، علي بـن أبي الكرم . الكامـل في التاريخ ( بـيروت، دار الفكر العربي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .
٣- أحمد، أحمد رمضان . حضارة العرب ( معلومات النشر بدون ) .
٤- الأزرقـي ،محمـد بن عبد الله . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . تحقيق رشـدي ملحس ( بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .
٥- الأصـفهاني، أبو الفرج علي . الأغاني ( بيروت :دار صـعب، د. ت ) ( مصـور من طبعة بولاق الأهلية ) .
٦- الأفغاني، سعيد. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ( دمشق : دار الفكر، د. ت) .
٧- الألوسي، السيد محمود شكري . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . تحقيق محمد بهجت الأثري ( بيروت :دار الكتب العلمية، د . ت ) .
٨- أمين، أحمد . فجر الإسلام ( القاهرة : (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م) .
٩- بدوي، عبده، الشـعراء السـود وخصائصـهم في الشـعر العربي (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م) .
١٠- بروكلمـان، كارل . تاريـخ الشـعوب الإسـلامية، ترجمـة نبيه أمـين فارس، ومنير البعلبكي ( بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨م )
١١- البكري، عبد الله بن عبد العزيز . معجم ما اسـتعجم من أسـماء البلاد والمواضع .تحقيق مصطفى السقا ( بيروت : عالم الكتب، د. ت ) .
١٢- البلاذري، أحمد بن يحيى . فتوح البلدان . راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان ( بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .
١٣- ابن جلجل، سـليمان بن حسـن الأندلسـي. طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد ( القاهرة : مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م ) .
١٤- جودة، جودة حسنين . شبه الجزيرة العربية ( الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م).
١٥- جودة، جودة حسنين . جغرافية آسيا الإقليمية ( الإسكندرية : منشأة المعارف، ١٩٨٥م).
١٦- حاوي إيليا . فن الخطابة وتطوره عند العرب ( بيروت : دار الثقافة، د . ت ) .
١٧- ابن حبيب، أبو جعفر محمد . المحبر . تصحيح د. إيلزة لختن شتيتر ( بيروت: دار الآفاق الجديدة، د . ت ) .

١٨- الحداد، محمد بن يحيى. تاريخ اليمن السياسي العام ( القاهرة: مطبعة الكيلاني العامة، د.ت ).
١٩- ابن حزم، علي بن سعيد الأندلسي . جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون ( القاهرة: دار المعارف، د . ت ) .
٢٠- حسن، حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ( معلومات النشر بدون ) .
٢١- حسن، علي محمد، وزكي علي سويلم . الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ( القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .
٢٢- حسن، نبيلة . تاريخ بلاد العرب ( الإسكندرية، ١٩٨٨م ) .
٢٣- حفني، عبد الحليم . شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه ( القاهرة، د . ت ) .
٢٤- حمادة، عبد الغني . تاريخ مكة المكرمة ( سوريا : حلب ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) .
٢٥- حمزة، فؤاد . في بلاد عسير ( بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥١م) .
٢٦- الخربوطلي، علي حسني . الحضارة العربية الإسلامية ( القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) .
٢٧- خطاب، محمد شيت . قادة فتح بلاد فارس وإيران ( بيروت: دار الفتح، ١٣٨٥هـ/١٩٦١م.
٢٨- خفاجي، محمد عبد المنعم . الحياة الأدبية، عصر بني أمية ( القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، د . ت ) .
٢٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد . تاريخ بن خلدون ( العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ( بيروت: مؤسسة الإعلام للمطبوعات، د. ت ) .
٣٠- ابن دريد، محمد بن الحسن . الاشتقاق . تحقيق عبد السلام هارون ( القاهرة : دار الخانجي، د.ت) .
٣١- ريسلر، جاك . س . الحضارة العربية. ترجمة غنيم عبدون ( القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، د . ت ) .
٣٢- الزبيري، مصعب بن عبد الله. كتاب نسب قريش، صححه وعلق عليه ليفي بروفنسال ( القاهرة: دار المعارف، د . ت .
٣٣- زيدان، جورجي . مؤلفات جورجي زيدان الكاملة ( م .ن، ١٩٨٢م ) .
٣٤- أبو زهرة، محمد أحمد . الخطابة : أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب( القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٠م) .
٣٥- سالم، السيد عبد العزيز .دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ( القاهرة، د. ت )
٣٦- سرور، جمال الدين . قيام الدولة العربية الإسلامية ( القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٦٤م) .
٣٧- ابن سعد، محمد . الطبقات الكبرى ( بيروت : دار صادر، د . ت ) .
٣٨- الشريف، أحمد إبراهيم . دور الحجاز في الحياة السياسية ( معلومات النشر بدون ) .
٣٩- الشريف، عبد الرحمن صادق . جغرافية المملكة العربية السعودية ( الرياض : دار المريخ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ) .

٤٠- الشريف، عون قاسم. نشأة الدولة الإسلامية ( القاهرة : دار الكتاب المصري، ١٩٨١م).
٤١- شلبي، أحمد . التاريخ الإسلامي ( القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت ) .
٤٢- شوكت، أحمد . الطب عند العرب ( القاهرة : مؤسسة المطبوعات الحديثة، د. ت).
٤٣- صالح، محمد أمين . تاريخ اليمن الإسلامي ( القاهرة : مطبعة الكيلاني، د . ت ) .
٤٤- ضيف، شوقي . تاريخ الأدب العربي . ( القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٧م ) .
٤٥- الطبري، أبو جعفر محمد . تاريخ الأمم والملوك .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، د . ت ) .
٤٦- عابدين، عبد المجيد . بين الحبشة والعرب ( القاهرة : دار الفكر، د. ت ) .
٤٧- عامر، فاطمة مصطفى. نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة ( القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م ) .
٤٨- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد. العقد الفريد . تحقيق محمد سعيد العريان (بيروت: دار الفكر، د . ت ) .
٤٩- عبد الحميد، سعد زغلول. العمارة والفنون في دولة الإسلام (الإسكندرية منشأة المعارف،د .ت).
٥٠- علي، حسين . اليمن الكبرى ( القاهرة، د . ت ) .
٥١- العلي، صالح أحمد . محاضرات في تاريخ العرب ( بغداد، د. ت ) .
٥٢- علي، محمد كرد . الإسلام والحضارة العربية ( القاهرة، ١٩٦٨م ) .
٥٣- فراج، عز الدين . تقاليد العرب ( القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت ) .
٥٤- الفقي، عصام عبد الرءوف . اليمن في ظل الإسلام ( القاهرة : دار الفكر، ١٩٨٢م).
٥٥- فهمي، عبد الرحمن . موسوعة النقود العربية وعلم النميات ( القاهرة : دار الكتب، ١٩٦٥م).
٥٦- فهمي، عبد الرحمن. النقود العربية، ماضيها وحاضرها. ( القاهرة: دار القلم، ١٩٦٤م) .
٥٧- القاضي، النعمان عبد المتعال . شعراء الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ) .
٥٨- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم . الإمامة والسياسة . تحقيق طه الزيني ( القاهرة: مؤسسة الحلبي للنشر، د. ت ) .
٥٩- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم . عيون الأخبار ( القاهرة، د . ت ) .
٦٠- القلقشندي، أبو العباس أحمد . صبح الأعشى في صناعة الإنشا . تحقيق نبيل خالد الخطيب ( بيروت : دار الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .
٦١- القلقشندي، أبو العباس أحمد . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . تحقيق إبراهيم الإبياري ( بيروت : دار الكتاب، د . ت ) .
٦٢- ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله . أحكام أهل الذمة . تحقيق صبحي الصالح ( دمشق: جامعة دمشق، د . ت ) .
٦٣- ابن كثير، الحافظ . البداية والنهاية ( بيروت : مكتبة المعارف، ١٩٨٠م ) .

٦٤- كحالة، عمر رضا . معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ( بيروت : مؤسسة الرسالة. د.ت ).
٦٥- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد . الأصنام ( القاهرة، د . ت ) .
٦٦- لوبون، غوستاف . حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر ( القاهرة : مطبعة عيسى الحلبي، د.ت).
٦٧- المرزباني، محمد بن عمران . معجم الشعراء . تحقيق سالم الكرنكوي ( بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م ) .
٦٨- المقحفي، إبراهيم أحمد . معجم المدن والقبائل اليمنية ( صنعاء : منشورات دار الحكمة، ١٩٨٥م ) .
٦٩- المقريزي، تقي الدين أحمد . النقود الإسلامية القديمة . تحقيق أنستاس ماري الكرملي البغدادي (القاهرة، ١٩٣٩م ) .
٧٠- منصور، سعيد حسين . القيم الخلقية في الخطابة ( ليبيا : منشورات مطبعة بنغازي، د. ت ) .
٧١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب ( بيروت : دار صادر، د. ت ) .
٧٢- مهران، بيومي . تاريخ العرب القديم ( الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م ) .
٧٣- موسى، أشرف محمد . الخطابة وفن الإلقاء ( القاهرة : مكتبة الخانجي، د. ت ) .
٧٤- المولى، محمد أحمد جاد وآخرون. أيام العرب في الجاهلية ( القاهرة : داء إحياء الكتب العربية، د. ت ) .
٧٥- الميداني، أبو الفضل أحمد. كتاب مجمع الأمثال . تحقيق محمد علي قاسم (بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ) .
٧٦- النووي، محيي الدين . تهذيب الأسماء واللغات ( القاهرة، ١٩٤٣م ) .
٧٧- الواقدي، أبو عبد الله عمر . فتوح الشام ( بيروت : دار الجيل، د . ت ) .
٧٨- ابن الوردي، زين الدين عمر. تتمة المختصر في أخبار البشر ( تاريخ ابن الوردي) . تحقيق أحمد رفعت البدراوي ( بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر، د . ت ) .
٧٩- الهادي، صلاح الدين . الأدب في عصر النبوة والراشدين ( القاهرة: مكتبة دار العلوم، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ) .
٨٠- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد . الإكليل. تحقيق محمد بن علي الأكوع (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) .
٨١- ياقوت، شهاب الدين . معجم البلدان ( بيروت : دار صادر، ١٩٧٩ م ) .
٨٢- أبو يوسف، القاضي أبو يوسف يعقوب . الخراج . تحقيق إحسان عباس ( بيروت : دار الشروق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ) .